طوق النجاة

للأسرة والمجتمع

فيفيان فاروق سعيد

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

طوق النجاة

تأليف

ڤيڤيان فاروق محمد

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل

إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١) ﴾

[النساء : الآية (١)]

الطبعة الأولى

رقم الإيداع ٥٧٣٧ / ٩٩

الترقيم الدولى

977 - 5091 - 27 - 3

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المقدمة :

الحمد لله الذى بيده ملكوت السموات والأرض ، له الملك ، له الحمد ، وهو على كل شيء شهيد .

له الحمد فى أمره ، فى شرعه وقدره ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١) ﴾ [(١)] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) ﴾ [(٢)] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

إن أكثر الموضوعات أهمية هذه الأيام هو موضوع الأسرة ، فالأسرة اليوم تقف على حافة الهاوية ، فالسقوط أصبح الاحتمال الأكبر لها .

فقد انتشر الطلاق بشكل واضح ومخيف حتى وإن كان الطلاق شيئاً قد أحله الله سبحانه وتعالى حينما تنتهى العلاقة بين الزوجين وتصل إلى طريق مسدود أو طريق اللاعودة .

---

(١) سورة النساء الآية « ١ » .

(٢) سورة الأحزاب الآيات « ٧٠ ، ٧١ » .

ولكن بهذا الشكل وبهذه النسبة لا يمكن أن يكون هذا شيئاً عادياً أو متداولاً ، والأكثر من هذا الإنحراف الذى نراه اليوم فى شبابنا وأطفالنا ، فمن منا لا يتصفح الجرائد اليومية ليقرأ صفحة الحوادث ، ولم يلفت نظره ظاهرة إنتشار الجريمة بين الأطفال الذين لم تتجاوز أعمارهم ما بين السابعة والسادسة عشر .

فإدمان المخدرات ... ظاهرة انتشرت فى الآونة الأخيرة فى المدارس الإبتدائية والإعدادية والثانوية ، وكذلك الجامعة .

والزواج العرفى وما تعانيه الأسرة من تلك المصيبة التى انتشرت بشكل واضح وجرىء .

حتى الجريمة انتشرت بين ما يطلق عليهم « ملائكة الرحمة » وهم الممرضات والأطباء وغيرهم .

وهؤلاء الأزواج الذين يتركون زوجات معلقات ويضربون بأوامر الله سبحانه وتعالى عرض الحائط ، دون خوف أو رحمة .

أتسآل ؟ أين نحن ؟ ماذا حدث لهذا المجتمع المسلم ؟ ، ماذا حدث للأسرة المسلمة ؟ ولماذا كل هذا الإنحدار والتدهور ؟ .

لماذا فقدت الأسرة المسلمة عربيتها ... وتدينها ... ومنهجها ؟ .

نعم فلابد لكل أسرة من نهج تضعه أمام أعينها ، ويكون لها هدف تسعى إليه ، نهج سليم يكون لها بمثابة المنارة التى تضىء لها طريق الصلاح .

لابد أن تسير على النهج القويم وأن تأخذ بالعوامل والأسباب والوسائل التى بها صلاحها ورقيها إلى مرتبة يرضى بها الله عنها وعن المجتمع .

فلابد للأسرة أن تسير على النهج الذى سار عليه سيدنا ومعلمنا محمدٌ بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، لأنه كما قال الإمام مالك بن أنس إمام أهل الهجرة : « أنه لن يُصلح آخر هذه الآمة إلا ما أصلح أولها » .

وصلاح الأمة لن يأتى أبداً إلا بإصلاح حال الأسرة المسلمة ، فإنما السبيل إلى إصلاحها وإقامتها على الطريق السوى هو السبيل الذى درج عليه نبينا عليه الصلاة والسلام ، ودرج عليه أصحابه الكرام ، ثم اتباعهم بإحسان إلى يوم القيامة .

ألا وهو العناية بالقرآن العظيم والعناية بسُنة الرسول ﷺ ودعوة الناس إليها من علم وبصيرة وإيضاح ما دل عليه هذان الأصلان من الأحكام فى العقيدة الأساسية الصحيحة .

« فالعقيدة الأساسية الصحيحة تعلمنا الإختيار الصحيح للآراء التى يجب الأخذ بها ، وترك المحرمات التى يجب الحذر بها ، وبيان الحدود التى حدها الله ورسوله وحتى يقف عندها » [(١)] .

كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا ﴾ [(٢)] .

ويجب علينا أن نبحث عن مشاكل الأسرة المسلمة ، وكيف يمكن لها أن تنجو من تلك الآفات التى تنخرُ فيها وتجعلها ضعيفة البنية ، ويجب على كل من يستطيع توضيح الطريق الصحيح ألا يقف مكتوف الأيدى دون إيجاد العلاج .

---

(١) رسالة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – « عوامل إصلاح المجتمع » بتصرف .
(٢) سورة البقرة الآية « ١٨٧ » .

فكما قال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾ [1] .

عسى الله أن يوفقنا جميعاً فى إصلاح هذه الأمة والعمل على تقدمها نحو النهج الصحيح .

إن شاء الله ، والله ولى التوفيق .

المؤلفة

فيفيان فاروق محمد

[أم صهيب]

غفر الله لها ولوالديها وللمسلمين

(١) سورة آل عمران الآية « ١٠٤ » .

الفصل الأول

الطلاق عبر التاريخ

١ – الطلاق في شريعة حمورابي .
٢ – الطلاق عند اليونان .
٣ – الطلاق عند الرومان .
٤ – الطلاق عند المصريون القدماء .
٥ – الطلاق عند اليهود .
٦ – الطلاق فى المسيحية .
٧ – الطلاق عند العرب فى الجاهلية .
٨ – الطلاق فى الإسلام .



الـداء الأول
الطلاق

نبذة تاريخية عن الطلاق :

انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة خطيرة ألا وهي ظاهرة الطلاق بشكل واضح وكبير ، يفوق كل المقاييس والمعايير السابقة .

فالطلاق هل أصبح موضة ؟ أم تمرد ؟ أم غضب من الله سبحانه وتعالى على المجتمعات المسلمة ؟ .

فالإجابة أكبر من أن تتخطى بها المواجهة أو حتى يمكن لنا أن نجد الإجابة الواضحة والصريحة .

اليوم نجد زوجان في بداية الحياة الزوجية ، ولم يمر عليهم سوى شهور قليلة أو بضع أيام حتى يحدث بينهم الطلاق ، وكأن الحياة الزوجية أصبحت مجرد فرح وزفاف وفستان ، وبيت قد أُسس من مكعبات لعب الأطفال نلهو به فترة ثم نهدمه حينما نشعر بالملل أو رتابة الروتين ، أو كأننا على شاطئ نستخدم رماله في بناء بيوت للهو ثم نتركها للأمواج تطيح بها كيف تشاء .

والهروب هو الوسيلة الوحيدة لعدم مواجهة هذه الأمواج أو حتى التصدى لها دون وعى منا ، أو تحمل المسئولية تجاه ما يحدث من آثار سيئة لأبنائنا أو تشتيت الأسرة ، ولا يتسن لنا أن نفكر في شيء من التضحية من أجل هؤلاء الأبناء ، كذلك لا يمكن لنا أن نُحمّل الرجل مسئولية ما يحدث ، وكذلك الأمر بالنسبة للمرأة ، فالمسئولية واقعة على كل منهما بالتساوى .

وبرغم أن الله سبحانه وتعالى قد أحل الطلاق لرفع الضرر عن أحد الزوجين ، يقول تعالى : ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [١] ليس معنى هذا أنه يمكن لنا أن نلهو بالطلاق كيفما نشاء .

بالطبع لا ، فلا يمكن لنا هذا لأن الله سبحانه وتعالى جعله أبغض حلال إليه بمعنى أن هناك قواعد وتشريعات لهذا الحلال – سوف نتعرض لها في الفصول القادمة إن شاء الله – .

فالإسلام قد حافظ على حقوق المرأة وجعلها مكرمة بعد أن كانت مهدورة الحقوق والكرامة ، فهل لنا أن نتعامل مع ما كرمنا به الله بكل استهتار وعدم شرعية ولهو ؟ .

فإذا استعرضنا الطلاق على مر التاريخ وما به من إهدار لحقوق المرأة والرجل لشكرنا الله على أننا مسلمين .

فإذا ألقينا نظرة سريعة وعابرة على تشريع الطلاق عبر التاريخ ولدى الأمم والشعوب الأخرى ، أدركنا الفارق الجلى والواقع العملى بينه وبين ما جاء فى الإسلام ، وكيف أن التشريع الإسلامى يتميز عنه ويعلو عليه فى أمور كثيرة [٢] .

أولاً الطلاق فى شريعة حمورابى :

جعل حمورابى الطلاق بين الرجل أساساً حين جمع الزواج والطلاق فى قانون وأعطى المرأة حق الطلاق ، فإذا طلقت وتبين أن الخطأ كان من

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٢٩ » .

(٢) تشريعات الطلاق ، ينصح مراجعة « الطلاق تشريعاً وتاريخاً » خاشع حقى .

جانبها ؛ عُوقِبتْ بالإعدام ، وذلك بإلقاذها فى البحر حتى تموت لسوء فعلتها وجرأتها على طلب الطلاق .

ثانياً : الطلاق عند اليونان :

كان الطلاق عندهم أصلاً بين الرجل يوقعه متى شاء لأى سبب كان دون إجراءات ، وعلى الزوجة أن تعود إلى أهلها ولكن أولادها يكونون فى حضانة أبيهم .

ثالثاً : الطلاق عند الرومان :

لما كان هناك بعض الطرق المختلفة فى الزواج ، كان هناك طرق مختلفة للطلاق ، ولكن حينما صدر قانون الألواح الإثنى عشر عام « ٤٥٠ » ق . م . أبا حرية الطلاق دون قيد أو شرط ، فكثرت حالات الطلاق بشكل فاحش ، حتى إن النساء أصبحنا يعددن أعمارهن بعدد مرات طلاقهن .

رابعاً : الطلاق عند قدماء المصريين :

إذا رأى الزوج أن هناك زوجه أخرى تسعده أكثر من زوجته الحالية طلقها متى شاء فضلاً على أن أكثرهم كان يجمع بين عدة زوجات .

خامساً : الطلاق عند اليهود :

وذلك على قسمين فى شريعة موسى وفى التلمود :

أ – فى شريعة موسى :

كان الطلاق بين الرجل بثلاثة شروط :

أولها : أن يكتب الرجل ورقة يثبت فيها طلاقها .

ثانياً : أن يسلمها الورقة بنفسه لتكون دليلاً على أنه هو الذى أزال بكارتها.

ثالثاً : أن يطلب منها مغادرة منزله .

ونص التوارة في سفر الإصحاح ٢٤ بند ١ ، ٢ الآتى :

« إذا أخذ الرجل امرأة ، توزج بها فإن وجد فيها عيباً أو عيب شيء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها ، فمتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر » .

ويلاحظ في هذا النص :

أولاً : أن كلمة « عيب » لها مدلول واسع جداً ، وتشمل العيوب الجسمانية والخلقية وتقدير العيب ومرجعه الزوج لا القاضى ولاحتى حكم من أهله ، أو حكم من أهلها وذلك محافظة على أسرار الزوجية .

ثانياً : ليس على الزوجة أن تتربص فترة معينة ، كالتى فرضها الإسلامة — فترة العدة — ليبين خلو رحمها من الحمل .

ثالثاً : لما كانت الأمية فاشية فيهم ، كانا لزوج يبحث عمن يعرف الكتابة ، ولذلك جرى العمل على إشهاد شاهدين كيفية العقود وربما هدأت ثورة الرجل وغضبه فى هذه الحالة فعدل عن الطلاق .

وكان يحرم على الزوج طلاق امرأته فى حالتين فقط وهما :

١ — أن يتهم زوجته بأنه لم يجدها بكراً ويقدم أبو الزوجة الثوب الذى به بقع الدم إثباتاً لعذرتها أمام الشيوخ فيغرم الزوج غرامة تدفع لأبيها ويحرم على الزوج بعد ذلك طلاقها عقاباً له أو أن يتزوج عليها بأخريات .

٢ — إذا هتك الرجل عرض فتاة فاغتصبها أُلْزِمَ بزواجها وحرم عليه طلاقها .

ب – فى التلمود [1] :

الأصل أن الطلاق بيد الرجل واستشهدوا بقوم الحاخام « الهيزر » فى القرن الأول الميلادى حيث قال : « إن الله كان شاهداً على زواجك ، فإن طلقت زوجتك فإن هيكل المحراب يفيض بالدموع » . لكنهم أعطوا المرأة حق طلب الطلاق من القاضى .

وعند وضع التلمود فسر الفقهاء اليهود ما ورد فى سفر التكوين : « من أن الرجل بزواجه يلتصق بامرأته ، ويكونَ جسداً واحداً بطفلهما الذى أنجباه » .

أى أن الزواج يُكونَ جسداً واحداً هو الطفل .

وقالو : إن هذا النص فى سفر التكوين لا يعطى النص اللاحق عليه الذى أجاز الطلاق .

وبعد أن تفرق اليهود شيعاً منهم الربانيون والقراؤون ، وهؤلاء أى القراؤون ضيقوا أسباب الطلاق ، وحرموا أزواج نسائهم من الربانيين زعماً منهم أن المرأة عند الربانيين تطلق دونما سبب شرعى ، وأنه لا يجوز للمطلقة أن تتزوج من آخر ، فإن تزوجت كان زواجها حراماً لعدم صحة طلاقها الأول .

سادساً : الطلاق فى المسيحية :

جاء فى العهد القديم [2] ، قول المسيح :

---

(١) التلمود يتكون من « المشنا » و « الجمارا » ومعنى كلمة « المنشا » الشريعة المكررة لأن المنشا تكرار لما ورد فى التوراه ، وليس تفسيراً وتكملاً لها ، وقد تم وضعه من قبل اليهود « الفرنسيين » أى الربانيين ما بين عام « ١٥٠ – ٢١٦ » م ولا يعترف به بعض الفرق اليهودية ، ولما استعصى المنشا على بعض القراء أخذ علماء اليهود يكتبون عليه طوشى شروحا سبعة سميت هذه الحواس وتلك الشروح بـ « الجمارا » . أحمد شلبى . اليهودية ٢٦٥ – ٢٦٦ بتصرف .

(٢) الذى هو نصوص التوراة ، ويعتبرها النصارى جزءاً من الكتاب المقدس وقد طبع مع الأناجيل فى مجموعة واحدة .

« ما جئت لأنقص ناموس الأنبياء بل جئت لأتمم وأكمل » ، ومقتضى كلامه هذا أن الطلاق من حق الرجل دون المرأة في شريعة المسيح أيضاً تتبعاً لأحكام التوراة التي جاء المسيح مكملاً ومتمماً لها لا ناقضاً لها ، « وفق الإنجيل الأصلي لعيسى عليه السلام الذي اندثر » .

أما الأناجيل الكثيرة التي وضعها الحواريون بعد عيسى وضمنوها قصصاً عن حياة المسيح وخلطوها بأقوالهم والتي ضاع منها الكثير ، وأحرقت الكنيسة بعضها كإنجيل « برنابا » فلم تقر الكنيسة منها سوى أربعة أناجيل وهي :

« متى ، مرقص ، لوقا ، يوحنا » .

وقد وردت في بعضها عبارات ومحاورات ، فهم منها البعض تحريم الطلاق بتاتاً حتى ولو زنت المرأة كما هو رأي الكنيسة الكاثوليكية ، ومنذ صدور قرارات مجمع « ترانت » انتقد الكتاب والفقهاء تحريم الطلاق ، رغم زنى المرأة وأجمعوا على أن ذلك يبيح الزنا واتخاذ العشيقات والخليلات ، وصدرت القوانين الوضعية في بلاد عديدة - كما سنرى بعد قليل عند التحدث عن القوانين الوضعية - تدين بالكاثولوكية وتبيح الطلاق لأسباب كثيرة لأنهم لم يتصوروا انفصالاً جسمانياً يظل طوال الحياة مع بقاء الزوجية إلا أن تكون زوجية شكلية .

فكل من الزوجين بعيد عن الآخر غير خاضع لسلطانه ، والطبيعة البشرية تدفع كلاً منهما إلى الزنا وإتخاذ الخلات والعشيقات.

وقد ترتب عليه إيجاد أولاد غير شرعيين يلقون في ملاجئ اللقطاء محرومين من عطف الآباء وحنان الأمهات .

وأرادت القوانين الوضعية التي أباحت الطلاق في جميع بلاد العالم التي

تدين بالمسيحية أن تحد منه فجعلته للقضاء دون الزوجين .

وقد تعددت بناء على ذلك الأسباب التافهة التي يقبلها القضاء حتى أصبح قنطرة لكل راغب في الطلاق – كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية – حيث طلق القضاء المرأة لمجرد قولها : إنها تحب الكلاب وزوجها لا يحبها ويكره وجود الكلب نائماً في فراش زوجته .. ! .

ثم إن اختلاف الأسباب للطلاق في ولاية دون أخرى أوجد في أمريكا مايسمى بـ « الطلاق المتنقل » .

فالمواطنون في الولايات التي يصعب فيها الطلاق أو الحصول عليه ، ينشدون الطلاق في ولاية أخرى مثل « نيفادا » التي تسهل فيها إجراءات الطلاق وتتوسع دائرة أسبابه ، ويكفي أن يقيم طالب الطلاق ستة أسابيع حتى يعتبر مواطناً تقبل منه المحاكم طلب الطلاق .

وهكذا الحال في معظم الولايات يختلف ذلك باختلاف المدة التي تحددها الولاية للإقامة .

وإذا تكلمنا عن مصر نجد أن الأقباط مازالوا داخل هذه المشكلة – مشكلة الطلاق والزواج – التي لم تُعالج بعد ... فعلى حسب المصادر المعارضة للبابا فإن هناك ٤٤ ألف قبطي يعاني من هذه المشكلة .

والمشكلة هي أن من يستطيع الحصول على أحكام قضائية بالطلاق ولم يحصل على تصاريح بالزواج مرة أخرى لعدم اعتراف المجلس الأكليريكي بالطلاق المدني وعدم اقتناع أعضائه بالأسباب التي استند إليها الحكم القضائي .

وإن بعض هؤلاء الأقباط مازالوا ينتظرون الإذن والسماح لهم بالزواج من

عشر سنوات ، وبعضهم ترك الكنيسة القبطية الأرثوذكية والتحق بكنائس أخرى من أجل الزواج .

سابعاً : الطلاق عند العرب فى الجاهلية قبل الإسلام :

بيّن لنا حديث السيدة عائشة رضى الله عنها كيف كان الطلاق قبل الإسلام وكيف كان الرجل يعامل زوجته .

عن عائشة رضى الله عنها : « كان الرجل يطلق امرأته ما يشاء أن يطلق وهى امرأته إذا شاء راجعها وهى فى العدة وإن طلقها مائة مرة وأكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا أطلقك فتبينى ولا آويك أبداً ، قالت : وكيف ذلك ؟ قال : أطلقك فكلما همّت عدتك أن تنقضى راجعتك ، فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة – رضى الله عنها – فأخبرتها فسكتت حتى جاء النبى ﷺ فأخبرته فسكت النبى ﷺ حتى أنزل القرآن : ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [1] ، قالت عائشة : فاستأنف الناس الطلاق مستقبلاً من كان طلق ومن لم يكن طلق » [2] .

يوضح الحديث ماكان يفعله الرجل فى الجاهلية بالمرأة ، فلم يكن للطلقات عدد محدود ، ولكن كان على المرأة عدة بعد الطلاق ، وكان بعض الأزواج ينكّل بالمرأة فيطلقها حتى إذا قربت عدتها من النهاية راجعها ثم يطلقها ثانية ، وقبل انتهاء العدة يراجعها وهكذا عشرات المرات إمعاناً فى إيذائها والإضرار بها .

أما المرأة فقد كانت إذا أرادت تطليق نفسها من زوجها حولت باب

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٢٩ » .
(٢) أخرجه الترمذى .

خبائها [1] ، فإن كان إلى الشرق أدارته إلى الغرب وإن كان إلى الشمال أدارته إلى الجنوب ، فإذا جاء الزوج ورأى ذلك علم أنها طلقت نفسها منه ولم يأتها ورجع إلى أهله .

أعلمَ بعد هذه الرحلة التاريخية الصغيرة التي قمت بعرضها عليكم ... يجول في خاطر كل منكم لماذا هذا العرض التاريخي للطلاق ... الذي يوضح للقارئ مدى ديكتاتورية الرجل عبر التاريخ وكيف أنه أُمعن في زل المرأة .

إنني لم أقصد سوى إيضاح النعمة التي تعيش فيها المرأة حديثاً إذا ما قورنت بالمرأة قديماً ، وكما يقول المثل القديم : « من رأى ابتلاءات الآخرين هانت عليه ابتلاءته » .

وما قصدت غير التدبر في تشريع الإسلام لحقوق المرأة والرجل ، وكيف كرّام الله كل منهما ؛ لتعيش الأسرة المسلمة في سعادة وحب باختيار كل منها وليس فرضاً عليهما أو إجباراً حسب القوانين الوضعية التي ربما تجعل منهما سجناء في قفص الزوجية لا يجمعهم إلا العداوة والبغضاء .

كما يقول العالم الإنجليزي « بنتام » في كتابه « أصول التشريع » مبيناً وجهة نظره في النظام الكنيسي ومنتقده حيث أن القانون الكنيسي يدخل بين العاقدين حال التعاقد ويقول لهما :

« أنتما تقترنان لتكونا سعيدين ، فتعلما أنكما تدخلان سجناً سيُحكم غلق بابه ولن أسمح بخروجكما وإن تقاتلتما بسلاح العداوة والبغضاء » [2] .

---

(١) خبائها : دولاب ملابسها .
(٢) انظر كتاب الإسلام والغرب وجهاً لوجه الدكتور / عبد المنعم النمر .

ويعلق الفيسلوف الانكليزى على هذا الوضع متهكماً وساخراً بقوله : « لو كان الموت وحدة المخلّص من زواج هذا شأنه لتنوعت صفوف القتل واتسعت مذاهبه » .

وأصبح هناك من ينتحر أو يحرق نفسه أو غير ذلك مما نسمع عنه ونقرأ بسبب هذه القوانين التى وضعها البشر لتحكم الإنسان فى علاقته الزوجية والتى أثبتت فشلها وديكتاتوريتها .

أما قوانين الله سبحانه وتعالى لا يضاهيها قوانين ، فهو يحكم بالعدل بين البشر أجمعين .

ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

هكذا المعاشرة لابد أن تكون بالمعروف ... بالمودة ، والرحمة كما شرعها الله سبحانه وتعالى لنا ، وأمرنا بها الرسول عليه الصلاة والسلام .

أما إذا أصبحت الحياة الزوجية مستحيلة بين الزوجين وتقطعت فيها أوصال المودة والرحمة ... ولم يعد هناك حل أو أدنى ومضة من ترابط بين الزوجين فقد اختار الإسلام وشرع الله لنا فى هذه الحالة « الطلاق » .

ثامناً : الطلاق فى الإسلام :

وقد اختار الإسلام الطلاق حلاً حيث تضطرب الحياة الزوجية ولم يعد ينفع فيها نصح ولا صلاح ، وحيث تصبح رابطة الزواج صورة من غير زوج لأن الانحدار معناه أن تحكم على أحد الزوجين بالسجن المؤبد ، وهذا ظلم تأباه

---

(١) سورة النساء الآية « ١٩ » .

روح العدالة بل قد يكون وسيلة لارتكاب ما حرم الله من أمور فى سبيل التخلص من هذا الجحيم [1] .

فقد قال الله تعالى فكتابه : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (١٣٠) ﴾ [2] .

وقد أحاط الله الطلاق بسياج من الشدة والحيطة التى تنفع الأسرة والمجتمع الإسلامى ، فقد أحاط الله الطلاق بأحكام وأركان لابد للمسلمين أن يكونوا على دراية بها وعلم .

---

(١) انظر كتاب الطلاق تاريخاً وتشريعاً وواقعاً ، دراسة علمية مقارنة ، خاشع حقى .
(٢) سورة النساء الآية « ١١٣ » .

تعريف الطلاق في الإسلام

هو حل رابطة الزواج بلفظ صريح : كـأنتِ طالق أو كـتـابة مع تنبيه كأذهب إلى أهلك .

حكمة :

الطلاق مباح لرفع الضرر من أحد الزوجين .

لقوله تعالى :

﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ (1) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ (2) .

وعلى هذا يجب الطلاق إذا كان يلحق بأحد الزوجين ضرراً ولم يحقق منفعه تفوق ذلك الضرر أو تساويه ، ويشهد للأول قوله ﷺ للذى شكا إليه إيذاءه امرأته طلقها » (3) .

ويشهد للثانى قوله ﷺ : « **أيما امرأة سألت زوجها الطلاق فى غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة** » (4) .

أقسام الطلاق :

للطلاق أقسام هى ما سوف أتعرض لها دون الدخول فى التشريع أو فقه الطلاق حتى لا أطيل على القارىء لأن موضوعنا هو البحث المعالجة والتعرض

---

(1) سورة البقرة الآية « ٢٢٩ » .
(2) سورة الطلاق الآية « ١ » .
(3) أخرجه أبو داود وهو صحيح .
(4) أخرجه أصحاب السنن وهو صحيح .

للأقسام مهم لأنه يعطى القارئ فكرة واضحة على ما يمكن أن يقع فيه من خطأ لفظى قد يؤدى به إلى طريق مسدود أو أخطاء شريعة لا يدركها ، لأن اللفظ الدال على الطلاق صريحاً كان أو كتابة ، فالنية وحدها بدون تلفظ بالطلاق لا تكفى ولا تطلق الزوجة لقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به » [(١)] .

١ - الطلاق السُنى :

وهو أن يطلق المرأة فى طهر لم يمسها فيه ، فإذا أراد المسلم أن يطلق امرأته لضرر لحق بأحدهما ، وكان لا يدفع إلا بالطلاق انتظر حتى تحيض وتطهر ثم يطلقها طلقة واحدة ذلك لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [(٢)] .

٢ - الطلاق البدعى :

وهو أن يطلق الرجل امرأته وهى حائض أو نفساء أو فى طهر قد مسها فيه ، أو يطلقها ثلاثاً فى كلمة واحدة أو ثلاث كلمات فى الحال ، وذلك لأمر الرسول ﷺ عبدا لله بن عمر - رضى الله عنهما - وقد طلق امرأته وهى حائض أن يراجعها ثم ينتظر حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء أمسك بعد ذلك وإن شاء طلق قبل أن يمس ، ثم قال رسول الله ﷺ : « فتلك العدة التى أمر الله سبحانه أن تطلق لها النساء » [(٣)] .

وقد أُخبر أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً فى كلمة واحدة ، فرد الرسول ﷺ

---

(١) متفق عليه .
(٢) سورة الطلاق الآية « ١ » .
(٣) رواه مسلم .

قائلاً : « أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم ؟ وبدا عليه غضب شديد »[1] .

والطلاق البدعي كالطلاق السُّني عند جمهور العلماء في وقوعه وأنحلال رابطة الزواج به .

٣ - الطلاق البائن :

وهو الذى لا يملك المطلق معه حق الرجعة وهو له أربعة صور :

أ - يطلقها طلاقاً رجعياً ثم يتركها فلا يرجعها .

ب - أن يطلقها على مال تدفعه مخالعة .

جـ - أن يطلقها قبل الدخول بها .

د - أن يطلقها ثلاث مرات فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره .

٤ - الطلاق الرجعى :

وهو ما يملك معه الزوج حق مراجعة مطلقته لقوله الله تعالى : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا ﴾[2] .

٥ - الطلاق الصريح :

وهو ما لا يحتاج المطلق معه إلى نيه « بل يكفى اللفظ » .

٦ - الطلاق الكناية :

وهو ما يحتاج فيه إلى نية الطلاق كأن يقول : « أُخرجى من الدار » أو « لا تكلمين » مثل هذا لا يكون طلاقاً إذا إذا نوى .

---

(١) أخرجه مسلم ، وقال ابن كثير إسناده جيد .
(٢) سورة البقرة الآية « ٢٢٨ » .

تحليل وتعليق :

وبهذا أكون قد تناولت الطلاق على مر التاريخ فى موجز مختصر يبين للقارىء تاريخ الطلاق وكيف كان الطلاق قديماً فيه تعسف وديكتاتورية بغضاء وكانت بعض الدول – وما زالت – تتمسك ببعض القوانين العقيمة فى الطلاق ، حتى جاء الإسلام ووضع لنا قوانين الرحمة والعدل والخير للأمة الإسلامية .

وللأسرة الإسلامية التى يُبنى على أساسها المجتمع الإسلامى الصالح عن طريق لبنة قوية متماسكة ... فيها مودة ورحمة ووعى نستمده من القرآن الكريم الذى هو مصدر عز الأمة وشرفها ، وهو الذى حول المسلمين فى أرض الجزيرة من رعاة للغنم إلى سادة وقادة لجميع الأمم إلى يوم كان كتاب الله تعالى كتاب حكم وتشريع لا كتاب ثقافة وتسليه وتمائم وأحجبة .

فقد تركوا شريعة الله وأخذوا بالقوانين الوضعية المتخلفة فقد استبدلوا بالبعير بعراً ، وبالثيريا ثرى ، وبالرحيق المختوم حريقاً » .

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [1] ، فالأصل الذى يجب على البشرية أن ترجع وتضىء إليه هو دين الله وحكم الله منهجاً للحياة » [2] .

ويقرر الإسلام أن لا يصح شرعاً الإتجاه إلى الطلاق لأسباب يمكن علاجها أو لأمور يمكن أن تتغير فى المستقبل أو تحول دون استقرار الحياة الزوجية على وجه .

---

(١) سورة المائدة الآية « ٥٠ » .

(٢) انظر كتاب خواطر على طريق الدعوى « محمد حسان » دار الخلفاء .

حتى الأمور التى تتعلق بعاطفة الزوج نحو زوجته أو بكراهيته لها ولبعض أحوالها لا يعدها الإسلام من مسوغات الطلاق ، فلا يستحسن أن يفكر الأزواج فى الطلاق لمجرد تغيير عاطفتهم نحو زوجاتهم أو كراهية لهن أو لمجرد عدم ارتياحهم إلى بعض أحوالهن وأخلاقهن التى ليس فيها ما يمس الدين أو الشرف لأن هذه العواطف متقلبة ومتغيرة ، ولا يصح أن تبنى عليها أمور خطيرة تتعلق بكيان الأسرة ومصيرها .

فقد كان الشيخ أبو محمد بن أبى زيد من العلم والدين فى المنزلة والمعرفة وكانت له زوجة سيئة العشرة وكانت تقصر فى حقوقه وتؤذيه بلسانها فيقال له في أمرها ، فكان يقول : أنا رجل قد أكمل الله عليَّ النعمة فى صحة بدنى ومعرفتى وما ملكت يمينى فلعلها بعثت عقوبة على ذنبى فأخاف أن فارقتها أن تنزل بى عقوبة هى أشد منها .

وبغيض الإنسان قد يصبح حبيبه يوماً ما .

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وابغ بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما » [1] .

والزوج إن كره من زوجته خُلقاً رضى منها خُلقاً آخر كما جاء فى الحديث الشريف : « لا يفرك [2] مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خُلقاً رضى منها آخر » [3] .

---

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه .
(٢) لا يفرك : أى لا يبغض .
(٣) أخرجه البخارى ومسلم .

وكذلك خاطب الله عز وجل الأزواج وأرشدهم إلى الصبر والتحمل إذا ما كره الرجل زوجته ، أو العكس .

وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [١] .

ومن الحكايات الطريفة التى تروى فى هذا الصدد أن رجلاً جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليستشيره فى طلاق امرأته فقال : لا تفعل ، فقال : ولكنى لا أحبها فقال له عمر : ويحك ألم تبنى البيوت إلا على الحب ؟ فأين الرعاية والتنعم ؟ وهنا يقصد سيدنا عمر أن البيوت إذا عز عليها أن تبنى على الحب فهى خليقه أن تبنى على ركنين آخرين شديدين ، أحدهما الرعاية التى نبت التراحم فى جوانبها ، ويتكافل بها أصل البيت فى معرفة ما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات .

وثانيهما : التذم والتحرج من أن يصبح الرجل مصدراً لتفريق الأسرة وتقطع أواصلها وأرحمها وشقاء الأولاد وما قد يأتى من وراء هذه السيئات من نكد العيش وسوء المصير [٢] .

ومن أجل ذلك حرص الإسلام ... حرصاً شديداً على استمرار الحياة الزوجية بين الزوجين ، لذلك وضع الحلول الكثيرة أمام الزوجين قبل أن يقبل أى منهما على اتخاذ قرار الطلاق .

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أنه جعل الدواء متغيّراً ليناسب كل حالة وليسكن الفتنة ، ويقضى على التمرد ، فكما خاطب الرجل ووضح له كيف

---

(١) سورة النساء الآية « ١٩ » .
(٢) انظر كتاب الطلاق تاريخاً وتشريعاً وواقعاً « خاشع حقى » .

إذا صبر على كُره زوجته ربما وجد فيها خيراً كثيراً .

كذلك فتح له طُرق آخرى للعلاج والمعاشرة والاستمرار وذلك فى الآية الكريمة : ﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾ [1] .

فإذا لم تؤتِ المعاشرة ثمارها المرجوة ووقع خلاف بين الزوجين وعاندت الزوجة وساء خُلقها لجأ الزوج إلى :

١ - الوعظ والإرشاد :

فيعظها الزوج بما يُناسبها من كلام ، ويذكُر أمثلة من واقع الحياة وتجارب الناس التى تلمسها وتعرفها ، ولكن نسيتها ، ويذكرها بواجباتها ويُخوفها من عذابِ الله وغضبه فى الدنيا والآخرة ويحذرها سوء العاقبة بما تفعله بمنطق العقل .

٢ - هجرهن فى المضاجع :

والغاية من الهجرة هنا هو التأديب وهذا التأديب له جانبان جانب نفس وجانب مادى .

فالجانب النفسى للتأديب بالهجر فى المضجع بمعنى أنه يدير الزوج ظهره لزوجته فى الفراش إشعاراً بأنه غاضب وأنه يعترض على بعض الجوانب السلبية التى ربما ناقشها معها وباءت بالسلبية ، وعدم القبول ، وبذلك التباعد الذى يتسم بشيءٍ من التأدب والاحترام أقوى من كل العبارات الجارحة ولهو أكثر عذاباً من كرابيج العالم .

---

(١) سورة النساء الآية « ٣٤ » .

أما التأثير المادى قد يجعل الزوجة تفكر جدياً فى الحالة الطارئة عليها وتعمل من جهتها على إزالتها وفض النزاع قبل أن يصل إلى طريق اللاعودة .

٣ - اضربوهن :

واضع تحت هذه الكلمة مائة خط ، بل وأقف أما مها حزينة ،ولم يملكنى حزنى فقط لأننى امرأة أولاً أو لأنه أمر فى كتاب الله سبحانه وتعالى بالطبع ، لا لأن التشريع الذى أنزله الله فيه رحمة بالعالمين ولكن حزنى كل الحزن هو فهم بعض الرجال هذه الكلمة وكيفية استخدامهم لها بشىءٍ من التعسف والعنف .

فإذا نظرنا إلى الصحابة - رضى الله عنهم- حينما نفذوا كلام ربهم فى تأديبهن وضربهن كانوا يستخدمون السواك أو النغز فى الكتف ، هل تعى أيها الرجل المسلم معنى هذا ... استخدام السواك تخيل هذا السواك الصغير الذى كان يتسخدمة الرسول ﷺ فى تسويك أسنانه .

فلما ضرب عبد الله بن عمر- رضى الله عنهما - زوجته ضربها بالسواك، قال رسول الله ﷺ : « **لا تضرب الوجه ولا تُقبح ولا تهجر إلا فى البيت** » [١] .

ويقـــول النبى ﷺ : « **لا يضرب أحدكم امرأته جلد العبد ، فلعله يجامعها أويضاجعها فى آخر اليوم** » [٢] ، والرجل إذا ضرب امرأته على سبيل التأديب فليس له أن يحدث أثراً بضربها ولا يضرب بالسوط ولا العصا وإنما بمثل السواك .

قال ابن عباس: « ضرباً غير مبرح » وقال الحسن البصرى : « غير مؤثر »،

---

(١) حديث حسن رواه أبو داود ؛ وقال معنى لا تقبح : أى لا تقل قبحك الله ، وقول البعض قبح الله وجهك أو ما أقبح هذا الخلق أو ما شابه ذلك يتضمن الصنعه والخلق، وفيه ذم للخالق فلينته لذلك.

(٢) متفق عليه .

ولكن كثير أو أغلب الرجال قد فهم أنه مصرح له ضرب زوجته حينما يشاء وبأى طريقة ، فبدلاً من أن يضرب ليأدب ، أصبح يضرب لينتقم ... ليقتل ... أو ... يذبح ... إلخ .

واتضح أنها شحنات داخلية مختلفة سواء أمراض عصبية أو إحباط أو غير ذلك من سلوكيات ربما يكون قد تأثر بها من ضغوط الحياة المختلفة ، فالمرأة حينما تتزوج وترتبط بالرجل تعطى له حياتها أمانة فتسلم له كل ما تملك مطمئنة أنه قائد لمسيرة الحياة تستمد منه الأمان والحب والمشاركة لأن المرأة لا تتزوج من الرجل بغرض العلاقة الزوجية بل تريد صفة أو سياسة الاحتواء ، الاحتواء لكل مشاكلها ومشاعرها الخاصة قبل أى شيء ، وبعض الرجال لا يفهم هذا المنطق السيكولوچى فيتعامل معها بسياسة القمع والقهر سياسة المصادرة وعدم التفاهم ، وكأن المرأة فى بيته معتقل ليس لها حقوق أو واجبات ويبدأ ممارسة التعذيب والقهر لزوجته بشكل لا يقبله دين أو أى منطق إنسانى .

حينما يقرأ الرجل هذه العبارات ربما يخطر بذهنه أننى امرأة وأتحيز بهذه الكلمات لجنسى من النساء .

يؤسفنى أننى أعرض عليك سيدى الرجل هذه الأبحاث التى قام بها بعض الباحثين الأجانب فى مصر والبعض الآخر من المصريين له رأى يسيء للإسلام والرجل الشرقى أو العربى .

فإذا تناولنا البحث الذى نشرته إحدى المجلات للباحثة « مارلين تادرس » والذى عرضه الصحفى « بها الدين يوسف » [(١)] .

---

(١) مجلة سيدتى العدد « ٤٥٧ » بعنوان : نساء بلا حقوق ، رجال بلا قلوب .

دعونا ننتقل للمادة الأساسية للموضوع وهى خاصة باستعراض نتائج الدراسة الميدانية التى أعدتها أستاذة جامعية وباحثة عن بعض الأحياء الشعبية فى مصر ومدى تعرض الزوجة لعنف الزوج وأسبابه ، وأصدرتها فى كُتيب لا يوزع على الجمهور لحسن الحظ ... إنما لصالح إحدى جمعيات حقوق الإنسان واختارت له عنوان « نساء بلا حقوق – رجال بلا قلوب » وفى مقدمتها اختارت الباحثة مجموعة من الاستشهادات بعناية وخبث لتعطى للقارىء إيحاء كامل يصل إلى مرحلة اليقين خاصة لمن لا يعرف الخلفيات بأن آراء الرجال الشرقيين فى المرأة سلبية بشكل عام .

فمثلاً : استشهدت على ذلك بجزء من مقال كتبه : « محمود المراغى » رئيس تحرير جريدة العرب الناصرى سابقا :

ضرب الزوجات ليس قضية فى مصر لكنه فى بلاد أوروبية وأمريكية قضية تشغل الرأى العام ، فالمساواة كما نفهمها هنا تعنى إعطاء المرأة حقها فى التعليم ، والعمل والممارسة السياسية ولا أظن أن العنف يعنينا فى مصر ، فليس العنف ضد المرأة بقضية مصرية » .

وأوردت الباحثة أيضاً على لسان أحد العاملين فى مجال حقوق الإنسان (وأضع مليون خط تحت كلمة حقوق الإنسان) قال فيها : « إن فيه ستات لو متضربش تفتكر أن جوزها موش بيحبها » .

وليس ذلك فحسب بل تعرضت أيضاً إلى الطرق المختلفة التى يتعامل بها الزوج المسلم مع زوجته ، فأحياناً التعامل يكون بالضرب بالأسياخ الحديدية ، أو الضرب المفضى إلى الموت ، وأخيراً بسكب الشاى الساخن عليها وهذا أقل الأذى .

وهكذا نرى بعد عرض هذه الكلمات نظرة المجتمعات الآخرى للمرأة

المصرية أو المسلمة ، ثم أنتقل بك إلى نتائج البحث ، أثبتت أن ٢٢ ٪ من الرجال يعتدون بالضرب على زوجاتهم « مدمنون للمخدرات أو الخمور أو القمار » أيضاً كشفت النتائج أن ٧٠ ٪ من الزوجات الذين تعرضوا للبحث أميون ، و١٦ ٪ حاصلون على تعليم متوسط ، ١٤ ٪ يعرفون القراءة والكتابة ، وفي دراستها الميدانية ذكرت الباحثة أن ٣٠ ٪ يتعرضون للضرب بشكل يومى ، ٣٤ ٪ بشكل اسبوعى فى حين يتعرض ٢٢ ٪ فقط للضرب على فترات متباعدة.

هذا بخلاف السبب الذى اعتبرته كل السيدات شيئاً عادياً .

أما وسائل الإيذاء البذىء كما ذكرت بدءاً من الضرب باليد ونهاية بالأعمدة الحديدية مروراً بالأسلاك والعصا والأخرمة والأسياخ الحديدية وما يحويه من أشكال العنف المختلفة التى تتعرض لها المرأة المسلمة .

هكذا جاء البحث الميدانى الذى قامت به الباحثة الأجنبية ، وسواء كان فى مناطق عشوائية أو حتى فى مناطق حضرية فليست هذه نقطة الخلاف فى البحث إنما يحزننى أنها مناطق تمثل المجتمع العربى والمفهوم الإسلامى ، فلماذا وصل المجتمع إلى هذا الحد ... وإلى هذا الأنحدار ، وإلى هذا التدهور الشديد الذى جعل منا عرضه لأبحاث الآخرين ليوقع مجتمعنا الإسلامى فى شباك التشهير والكيد والنيل من الإسلام ، والإسلام برىء من كل هذا التعسف والظلم .

كما أتسآل لماذا مليون ونصف المليون قضية أحوال شخصية تبحث عن حل فى المحاكم ؟ .

هذا الرقم الصدمة ، جعلنى أنظر بشىء من الواقعية التى أوضحت لى مدى التباعد بين الدين والأسرة وبالتالى المجتمع ، فقد فقد المجتمع المعنى

الصحيح المقصود من الزواج والارتباط ، فقده بسبب أعداء الإسلام الذين فشل معهم أسلوب الحديد والنار ، حينما فكروا فى القضاء على المارد العملاق « الإسلام » فتوالت هجماتهم وحملاتهم الصليبية المتكررة التى لم تزد المسلمين إلا عزماً على النصر أو الشهادة فى سبيل الله .

ومن ثم فكر أعداء الإسلام فى أسلوب جديد لا يقل ضراوة وخطراً من الغزو العسكرى ... فحل محله الغزو الفكرى الذى نجح فى أن يوجد جيلاً فُرغ فى مدارس أعداء الدين ، وشرب من منابعهم وحج إلى قبلتهم ، ثم عاد ليُسبح بحمد أوروبا ويهتف باسم الغرب ويؤدى دورة بدقة وأمانة لمسخ هداية الجيل وزرع بذور التشكيك والإلحاد والتحرر .

ونجحوا إلى حد بعيد فى أن يخرجوا هذا الجيل من المستغربين الذين أغشى أبصارهم بريق الحضارة الغربية المادية المُذهلة التى صادفت هزيمة نفسية مذرية فى كثير من القلوب فى وقت بدأ فيه المسلمون يتخلون عن إسلامهم وحضارتهم التى أشرق نورها نبراساً على هذه الحضارة بأسرها .

ونقل « عبيد الغرب » [١] هذه الحضارة بكل ما فيها من حلو ومر وخير وشر على أنها وحدها – فقط – هى سر الحياة وأكسير السعادة ، وقارب النجاة وسط هذه الأمواج المتلاطمة والرياح الهوجاء التى يترنح فيها كثير من الناس ترنح الذى يتخبطه الشيطان من المس [٢] .

وبالتالى أصبح الغذاء الروحى للأسرة هو استيعاب كل هذه الحضارة الزائفة التى لها بريق آخاذ ... يأخذ بألباب الناس ويسلبهم التفكير فى المنهج الصحيح

(١) رفاعه الطهطاوى ، قاسم أمين ، أمينة السعيد وغيرهم ممن ساعد على خلع المرأة الحجاب .
(٢) خواطر على طريق الدعوة « محمد حسان » .

الذى وضعه الله ورسوله ويقودهم إلى التفكير الأعمى للأسرة الغربية المتفرنجة مثلهم الأعلى فيها أسرة « الجرىء والجميلات » ، « دالاس » وغيرها من المسلسلات التى نقلت حياة الأسرة فى الغرب وكيف أن الزوجة تعيش مع آخر والزوج يعيش مع آخرى ، وبالتالى الأولاد يتزوجون زوجات الأب ، وغير ذلك من العادات التى تنادى بالحرية الشخصية ، وفى نفس الوقت تدمر الإسلام الحنيف وتعاليمه ، وتحطم مبادئ الأسرة المسلمة ، وتقضى على الأخلاق والحياء ، وتسلبنا شريعتنا دون أن تدرك هذا لترفع شعار زائف اسمه البروتوكول والإتيكيت والحرية الزائفة .

ففى الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال : « كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركنى ، فقلت : يا رسول الله : إنا كنا فى جاهلية وشر ، فجاء الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شر ؟ .

قال : نعم .

قلت : وهل بعد هذا الشر من خير ؟ .

قال : نعم ، وفيه دخن .

قلت : وما دخنه ؟ .

قال : قوم يهدون بغير هدى ، تعرف منهم وتنكر .

قلت : فهل بعد ذلك الخير من الشر ؟ .

قال : نعم ، دعاه على أبواب جهنم من أجابهم إليهم قذفوه فيها .

قلت : يا رسول الله : صفهم لنا .

قال : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا .

فقلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ .

قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم .

قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام .

قلت : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك »[1] .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الفتن ، ورواه مسلم فى كتاب المصابرة .

النداء الثاني
الزواج العرفي

لقد أصبحنا نعيش عصراً تملأه المادة ، وتتحكم فيه الشهوات بصورة عارمة وجارفة أمامها كل معاني الدين والخوف من الله ، وكأن الإنسان أصبح لا يفكر في شيئاً سوى شهواته ودنياه ، ونسي شيئاً حقيقياً وواضحاً ألا وهو ملاقاة الله سبحانه وتعالى ، نسي أنه مهما طال به الأمد ، إلا أنه في النهاية لابد من الرحيل إلى الآخرة ، عمروا الدينا بشتى الوسائل والتقدم والتكنولوچيا كما يزعمون وياليتهم عمروا الآخرة .

بل امتلأت قلوبهم حرصاً وطمعاً في المزيد والمزيد من حب الدنيا كما قال سيد الخلق وحبيب الله المصطفى ﷺ في حديث ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ، قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، وينزعن الله من صدور عدوكم المهابة ، وقذفن الله في قلوبكم الوهن ؟ فقالوا : وما الوهن : قال : حب الدنيا وكراهية الموت » (١) .

فلا بد أن نعرف أن الدنيا دار مفر والآخرة دار المقر ، قال تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) ﴾ (٢) .

وإنها مهماطالت فهي قصيرة ، أو مهما عظمت فهي حقيرة لأن الليل

(١) رواه أحمد وأبو داود من حديث ثوبان ، وهو صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع «١٣٥٩/٢» .
(٢) سورة غافر الآية « ٣٩ » .

مهما طال لابد من طلوع الفجر ، ولأن العمر مهما طال فلابد من دخول القبر » [1] .

فإذا بدأ الإنسان التفكير بهذا المعنى الصادق الجميل لتبين له حقيقة الأمر واتضحت له الصورة الحقيقية لارتكاب الذنوب أو الآثام ، فما دامت الدنيا زائلة فلماذا إذاً نتمسك بها ونُضحى بأنفسنا فى حبها ؟ لماذا نرتكب الأخطاء دون وعى منا للعقاب ؟ ، أياً كان نوع المتعة أو مدتها فهى زائلة ولا مفر لنا سوى العقاب عليها ، فلما لا نفوز بالنجاة والعمل على الفوز أصلح بكثير من تلك المتع التى توقع صاحبها فى منزلق الهاوية .

والسقوط كما أرى أنه سقوط جماعى - إلا من رحم ربى - سقوط مجتمع بأثره ، دين بكل قيمة وتعاليمه ، أمة بنت نفسها فى سنين لتأتى أجيال جاهلة تهدم كل ما بنته أمة الإسلام فى حقبة من الساعات المدمرة ، رسول بلغ ما أمره به ربه ، تعذب وصارع وبكى وأصلح ، وفتح بلاد كثيرة ونشر الإسلام فى معظم أنحاء العالم وساعده خلفاؤه فى الاستمرار والتقدم لنشر الدعوة والدين الصحيح بالفتوحات والمعارك ... أُستشهد الكثير وتعذب الكثير من أجل نشر كلمة الله سبحانه وتعالى فى الأرض حتى علت ، ونأتى نحن بكل سلبيه وتدهور وتباعد لنمحى كل هذا بجهل وتعجرف وحب فى الدنيا ولهواً وراء المادة ووراء الانترنت ، ووراء الأقمار الصناعية التى دمرت الكثير والكثير من البناء العظيم لأمة الإسلام .

ونشرت معانى كثيرة للحرية والديمقراطية والتحرر من قيود الإسلام ودفع

---

(١) خواطر على طريق الدعوة « الشيخ محمد حسان » .

المرأة للتحرر وخلع عنها الحياء ، فالمرأة السلاح القوى الذى يمكن للغرب أن تمحى به الكثير والكثير من المبادىء الإسلامية ، لأن المرأة هى الأم والزوجة والأخت والإبنة والأفكار التى تُغرس فى الابن أى فى التنشئة واللبنة الأساسية من الناحية التربوية والمعنوية ليحيا جيل وأمة بأسرها .

كما قال الشاعر :

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

وكلماتى هذه لا تخص الأم بالذات ، ولكن المرأة بشكل عام لأنها المحور الذى يحرك المجتمع وينشىء رجال صالحين ونساء صالحات ، فالمجتمع ماهو إلا رجل وامرأة وعلى هذا الأساس أخص المرأة بكلماتى ؛ لأنها السلاح الرئيسى لتدمير المجتمع أو صلاحه .

وحينما تعلمت المرأة التحرر ، وخلع الحياء ، تعلمت الحب والعشق – إلا من رحم ربى – فالحب هو الطريق الأساس للمعاصى والخضوع والضعف ، والضعف الذى يرتكب به الإنسان الخطأ ، فالغرائز والشهوات ماهى إلا نقاط ضعف فى الإنسان .

كما قال ابن القيم الجوزى [(١)] :

« العشق مرض من أمراض القلب ، مخالف لسائر الأمراض ، مخالف لسائر الأمراض فى ذاته وأسبابه وعلاجه ، وإذا تمكن واستحكم ، عز على الأطباء دواؤه ، وأعيى العليل داؤه ، وإنما حكاه الله سبحانه فى كتابه من طائفتين من الناس : من النساء ، فحكاية عن امرأة العزيز ، وحكاية عن قوم

---

(١) زاد المعاد لابن القيم الجوزى « ٢٦٨/٤ » .

لوط ، وعشق الصور إنما تبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله تعالى المعرضة عنه المقوضه بغيره عنه ، فإذا امتلأ القلب من محبة الله والشوق إلى لقائه ، دفع ذلك عنه مرض عشق الصور .

ولهذا قال تعالى في حق يوسف : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (1) .

فدل على أن الإخلاص سبب لدفع العشق وما يترتب عليه من السوء والفحشاء التي هي ثمرته ونتيجته ، فصرف المسبب صرفه لسببه ، ولهذا قال بعض السلف : « العشق حركة قلب فارغ يعني فارغاً مما سوى معشوقه » .

قال الله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾ (2) .

أي فارغاً من كل شيء إلا من موسى لفرط محبتها له ، وتعلق قلبها به (3) .

وتدرج الحديث في العشق « الحب » وفراغ القلب هذا ؛ لأن المخالطة في الجامعات والمدارس ودور السينما والمواصلات وغير ذلك وتبرج المرأة والسفور ، كل هذا يؤدى إلى ظهور الصور بشكل عمومى فيجعل القلب يتعلق بهذه وهذا دون وعي منا للمخاطر التي وراءه .

فالدين الإسلامى حرم الاختلاط ليس تعسفاً أو حتى تخلف كما يرى البعض ، وإنما محافظة على الزوج والزوجة والابنه لوالديها ، وكذلك يحافظ على الشاب والفتاة من الخطيئة واتباع هوى الشيطان .

---

(1) سورة يوسف الآية « ٢٤ » .
(2) سورة القصص الآية « ١١ » .
(3) زاد المعاد لابن القيم الجوزى « ٢٦٨/٤ » .

أسباب الزواج العرفى

وإذا بدأت الحديث فى موضوع الزواج العرفى ، والخلل الرهيب الذى أوجده هذا الزواج فى الأسرة المسلمة ، لا يكفينى فصل أو حتى كتاب ، ولكن نتناوله بشكل مختصر وصريح لمعرفة الحل فيما تعانى منه الأسرة المسلمة .

وبرغم أن جميع الأبحاث التى مرت من قبل على هذا الموضوع وقد علقت المشكلة على الخلل الاجتماعى أو السياسى أو الاقتصادى الذى تعيش فيه الأسرة ، إلا أننى أرى أن الخلل الأساسى هو غياب الجانب الدينى ولا يمكن أن نتناوله بشكل عابر كما تناولته معظم الأبحاث السابقة ، فإن الجانب الدينى هو عماد الأسرة المسلمة وبنزع ذلك العماد تتراكم الأخطاء وتهون على الفرد معانى الدين الحقيقية ، ويفقد الفرد معنى الخوف من الله والحياء منه سبحانه وتعالى .

عبد ابن عمر – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : « الحياء والإيمان قرنا جميعاً ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر » [(١)] .

أولاً : خلل دينى :

والزواج العرفى له خطأن : الخطأ الأول خطأ شرعى ، ويتمثل فى طريقة الزواج العرفى ، أما الخطأ الثانى فهو خطأ اجتماعى .

١ – الخطأ الشرعى :

أثارت هذه النقطة العديد والعديد من الآراء المختلفة فى كون هذا الزواج

---

(١) رواه الحاكم فى ٢٢/١ ، وقال صحيح على شرطهما .

شرعياً وصحيحاً أم لا ؟ ، وإذا بحثنا الزواج العرفي فهو نوعان :

أولاً : نوع يفقد ركن الشهود ووجود الولي فكل من الرجل والمرأة يتزوج كل منهما الآخر بعيداً عن وجود الشهود والولي وأحياناً يكون الشهود من طلاب المدارس الذين لم يبلغوا سن الرشد أو عنده الأهليه للشهادة .

فهذا الزواج باطل بالإتفاق لأن من شروط صحة الزواج الشهود ووجود الولي لقول رسول الله ﷺ : « **لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل** » [١] .

وقوله أيضاً : « **أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف** » [٢] .

لأن الإعلان بين الحلال والحرام ، لذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يوثق العقد ولكن كان يقيم الزواج في المساجد ويحث على إقامة الموائد ودعوة جميع الأهل والأقارب .

وفي السُّنن عند من حديث عائشة رضي الله عنها : « **أيما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل ، نكاحها باطل ، نكاحها باطل ، فإن أصابها فلها مهرها بما أصاب منها ، وإن استعزوا فالسلطان ولي من لا ولي له** » [٣] .

وكذلك في السُّنن الأربعة عنه ﷺ : « **لا تزوج المرأة المرأة ، ولا تزوج المرأة نفسها ، فإن الزانية هي التي تزوج نفسها** » [٤] .

ووجود الولي واجب في نكاح القاصرة والبالغة على السواء وهذا الشرط

---

(١) أخرجه الترمذي وأحمد ، وهو صحيح .
(٢) رواه النسائي والبيهقي والحاكم ، وهو صحيح .
(٣) أخرجه البخاري ومسلم .
(٣) أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة .

للولى فى الموافقة على الزواج ، يتفق مع النظرة والذوق السليم شأنه شأن جميع أوامر الشريعة ونواهيها ، فكم تكون مفاجأة الولى رهيبة إذا شاهد ربيبته وقد دخلت عليه البيت ، ومعها ما يسمى زوجها الذى لم يعلم به !! مما لا يقبل به كل ذى عقل ومروءة ! ويحتج الحنيفين على زواج البالغة بدون ولى بحدث .

« الثيب أحق بنفسها من وليها » ولا حجة لهم فيه .

قال المناوى فى شرح الجامع الصغير فى تفسيره : « بمعنى أنه لا يزوجها حتى تأذن له بالنطق ، لأنه أحق منه بالعقد وتأويل الحقيقة لهذا الحديث فرده : الأخبار الصحيحة المفيدة اشتراط الولى .

أما النوع الثانى :

وذلك الذى يتوافر فيه الولى والشهود ولكنه لا يوثق عند المأذون الذى عينته الدولة لتوثيق العقود الخاصة بالزواج مع وجود الولى وشهادة الشهود فيعد صحيحاً شرعاً ولكنه للأسف لا يترتب عليه الآثار القانونية والشرعية للزوجة والأبناء .

بمعنى أنه إذا طلقها فلا مهر لها ولا نفقة وإن أنجب منها وأنكر النسب فلا ثبوت للنسب .

إن هذا النوع من الزواج يؤدى لضياع المرأة والأبناء معاً ، فالقاعدة الشرعية أنه « لا ضرر ولا ضرار » والأرجح أنه مكروه لأنه يؤدى إلى عدم الاعتراف بحقوق الزوجة ولا سيما إن مزق الزوج ورقة الزواج العرفى .

فى هذه الحالة تظل المرأة معلقة لا هى زوجة ولا هى مطلقة لأن القانون لا يعترف بهذا الزواج غير الموثق فتظل المرأة معلقة لا يقر بها زوج آخر فتُضيِّع حياتها تماماً ... بسبب إهمال الولى فى النكاح ، فقد أدى هذا بمحاذير وأخطار تقع فيها المرأة بتسرعها بزواج نفسها ممن لا خُلق له فتخدعها كلاماته

المعسولة لعدم خبرتها أو ربما يكون الإهمال من الأهل وسوء التربية .

ويترتب على هذا شقاء دائم ربما بعد طلاقها منه وبعد قضاء حاجته منها.

كذلك انتشار جرائم المرأة فى الآونة الأخيرة بقتل المرأة زوجها بسبب هذا الزواج العرفى الذى يجعل الرجل ديكتاتورياً يمعن فى إزلال الزوجة ويتعامل معها بعنف شديد جداً لأنه يعلم أنها ليست لها حقوق قانونية تستطيع أن ترفعها إلى المحاكم لتقضى بينهما ، فيستطيع أن يسقط نسب الأولاد إن كانا قد أنجبا ، كذلك يستطيع أن يأخذ شقة الزوجية منها لأنها بالتالى ليس لها حقوق عنده .

وغير ذلك من المشاكل تقف أمامها المرأة باستهتار وقلة خبرتها مكتوفة الأيدى ، لا تستطيع أن تفعل شيئاً سوى الحسرة وتتابع الأخطاء .

وكما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) .

ثانياً : خلل اجتماعى :

يرجع ذلك الخلل الاجتماعى إلى ما انتاب الأسرة من تغيرات حديثة أدت إلى تكفغها وإهمالها فى متابعة أبنائها ذكوراً وإناثاً ، إما بسبب انشغال الأبوين بالعمل أو بسبب عدم وجود أحد الأبوين ، أو عدم التوافق بينهما مما جعل خلافتهما تشغلهما عن أبنائهما من ناحية ، وتدفع بهؤلاء الأبناء للهروب من جو الأسرة لعلاقات خارجها قد تفضى بهم للإرتباط بما يسمى الزواج العرفى.

كذلك شيوع الفكرة الخاطئة بين الفتيات خاصة ، وهى أن العنوسة تقترب

---

(١) سورة الحشر الآية « ٧ » .

منهن ويجب عليهن الارتباط بالشخص الذى يعتقدن أنه يناسبهن وذلك فى صورة الزواج العرفى .

والحقيقة أن لهذه الفكرة شيئاً من الصحة حيث بلغ عدد الفتيات اللاتى تجاوزن الثلاثين من عمرهن دون زواج ثلاثة ملايين فتاة ، مما جعل الفتيات اللاتى لم يبلغن هذه السّن يخشين من أن يبلغن هذا السن دون زواج فيصبحن ممن يقلهن قطار العنوسة .

والتغير الاجتماعى السريع المصاحب للتحولات الاقتصادية الأسرع قد أدى للازدواجية فى القيم وتداخل فى المفاهيم .

فمن ناحية أخرى لم تعد الأسرة كما كانت فى الماضى صاحبة الكلمة الأخيرة فى أمور الزواج ، وبالتالى فالفتيات يتخذن قرارهن بأنفسهن ، هذا من ناحية ، ونفس الأسر التى عايشت وتعايشت مع الأزمنة الاقتصادية لم تغير نظرتها للزواج فما زالت تتعامل مع من يتقدمون لبناتها كما كانت الأسر تتعامل مع من يتقدمون لبناتها منذ أكثر من نصف قرن ، فمثلاً قد تفرض على المتقدمين للزواج من بناتها طلبات والتزامات يعجزن عن القيام بها ، مثل المهر المرتفع ، والشبكة الثمينة ، والغريب فى الأمر أن الأسر تتعلل بتعليلات مختلفة مثل أن ابنة عم الفتاة حصلت على شبكة مقدارها كذا ، ومهرها كان كذا ، وهى ليست أقل من قريباتها ، مع أن نفس الأسرة قد يكون لديها ابن سيواجه نفس المشكلة فى المستقبل ولكن المشكلة تكمن فى أن طريقة التفكير لم تتغير والمحاكاة والتقليد يتحكمان فى خيارات الأسرة .

كذلك فإن التفكك الاجتماعى مضافاً للتفكك الأسرى أفقد الزواج عنصراً هاماً ، فإلى وقت قريب كان الزواج علاقة بين أسرتين قبل أن يكون

علاقة بين فردين هما الفتاة والشاب اللذان سيتزوجان وكانت الأسرة تراعى فى اختيارها اعتبارات أخرى غير الشكل والمظاهر والمادة ، مثل أصل الزوج وحسبه ونسبه وأخلاقه وسمعته فلما حدث تفكك اجتماعى وما تبعه من تفكك أسرى لم يعد الشباب يولى هذه الأمور اهتماماً وأصبح الزواج يتم بين الطرفين بدوافع أغلبها حسى مثل جمال البنت وإسرافها فى التزين ومبالغتها فى الكشف عن مفاتن جسمها ، وبالنسبة للشاب وسامته وخفة دمه أو امتلاء جيبه فيكون إبرام العقد عرفياً ولو على ورقة كراسة أو كشكول محاضرات ، مما أفقد الزواج ما له من قدسية وإحترامه وبالتالى أصبح من السهل التنصل منه بالإنكار أو بافتعال الخلافات وفى جميع الحالات فالفتاة هى الخاسرة .

ثالثاً : خلل إقتصادى :

الأسباب الاقتصادية تلعب دوراً هاماً فى حياة الإنسان وتتمثل هنا فى البطالة فالشاب لا يضمن أن يلتحق بعمل بغض النظر عن ضآلة الأجور والمرتبات التى لا تفى بحاجاته الأساسية فضلاً عن عدم تمكنه من الإدخار الذى يساعده على الزواج ويضاف لذلك أزمة المساكن وارتفاع الأسعار للحد الذى يعجز الشاب حتى لو التحق بعمل وحصل على راتب .

ولما كانت الحاجة للزواج من الحاجات الأساسية فى حياة الإنسان ذكراً كان أو أنثى ، فإن الشاب أمام هذه العقبات يلجأ لاستدراج الفتاة التى يلمس لديها الاستعداد للدخول فى علاقة زواج عرفى خاصة إذا كانت هذه الفتاة لا تلقى الرعاية الكافية من الأسرة بحيث تبصرها بالعواقب الوخيمة لهذا الزواج .

والخلل الاقتصادى لن يزول إلا إذا تدخلت الدولة فى بحث مشاكل الزواج بالنسبة للشباب الغير قادر ... مثل معظم دول العالم ... فالدول تنفق

الكثير على مشروعات غير مفيدة فى وقتنا الحالى ، وتتجاهل مشاكل الشباب ... فلا بد أن يكون هناك دور فعال لبحث هذه المشكلة وبالذات الشباب الذى يتخرج ولا يجد عمل يتعايش منه ويبنى به مستقبله .

رابعاً : خلل ثقافى :

فى نفس الوقت يأتى العامل الثقافى لينضم إلى العامل الاجتماعى والاقتصادى فيتفاعل معهما لإنتاج هذه المشكلة بالغة الخطورة ويتمثل هذا العامل فى الغزو اللأخلاقى الشديد الذى يملأ جو الحياة الاجتماعية فى مصر ، وقد أطلقت كلمة غزو لأنه بالفعل هو غزو تغزو به القنوات الفضائية ، والانترنت المجتمعات العربية لتحطيم الأسرة الإسلامية ، وهذا عن طريق أفلام سينمائية تثير الرغبة اللأخلاقية وتحث على ذلك فى كثير من الأفلام التى تعرضها السينما أو التليفزيون .

إن وسائل الإعلام من تليفزيون وسينما وغيرها من أخطر الوسائل التى تؤثر على المجتمع وبالذات على الفئة المراهقة منه أو فئة الشباب ، لأن ما تحويه الرسالة الإعلامية من مشاعر وإنفعالات لابد أن تؤثر فى المستقبل وبالذات الشباب .

فأفلام العواطف الرومانسية تُعلم الشباب الحب وهذه بداية الخطيئة ، فالحب من أول العلاقات التى تخلق المشكلة ، لأنه يولد العواطف التى تجرف الشاب أو الفتاة إلى منحدر الأخطاء التى لا توافق شريعتنا الإسلامية .

إن الشاب أو الفتاة يولى وجهه ليلاً نهاراً لوسائل الإعلام ليجد المثيرات اللاخلاقية تحيط به ، مما يدفعه للبحث عن الطريق الذى يوفر له هذا الإشباع المكتسب .

خامساً : خلل سياسى :

أما العوامل السياسية فهى تلعب دوراً هاماً فى هذه المشكلة وتتمثل فى حرمان الشباب من المشاركة الفعالة في الأمور السياسية بل والاجتماعية مما يخلق لديه فراغاً كبيراً يملؤه بالانحرافات كلاماً وفعلاً وممارسة .

والمسئولية تقع على الأحزاب السياسية القائمة التى لا تولى الشباب أى اهتمام ولا تتصدى للمشكلات بأى شكل وتكتفى بالصحف التى تصدرها لتعلن عن وجودها .

كذلك فإن منع الجماعات الإسلامية من المشاركة فى الأسر داخل الجماعات خطأ من أبشع الأخطاء التى ينتج عنها العديد من النتائج السيئة عند الشباب ويزيد من الإنحراف ويساعد على زيادة انتشار الزواج العرفى وأكثر من ذلك ، والجماعات الإسلامية الواعية كان علهيا النصيحة والوعظ والإرشاد لأصدقائهم الشباب ، ليس بالعنف أو المشاجرات وغيرها ، وإنما بالحسنى فقط والتذكرة سبب مهم يجعل القلب يخشع ويستحى .

ولماذا يكون الدين أخرس وأجراس الفساد هى التى تُعلن دائماً عن نفسها .. لماذا العزف والغناء يعلو ونداء الحق يصمت ... والنهاية البكاء والصراخ على مستقبل الشباب والأسرة والمجتمع .

نصيحتى :

إليك أختى فى الجامعة ... وابنتى فى المدرسة ...

أخاطب عقلك خوفاً عليك حبيبتى ... وأطلب من الله أن تصل كلماتى إلى قلبك ... فلا يُغرنك كلمات الرجل المنمقة والمرتبة بحكمة ومكر شديد فتقودك إلى تلك الأخطاء التى تؤدى بحياتك ، وتجعلك تندمين وتقعين

فريسة له .

فالحب ما هو إلا فراغ تريدين أن تملئين به قلبك وخيالك فلا يوجد حب إلا حب الله سبحانه وتعالى ... أما الحب العذرى أو الحب البرئ كما يقولون فما هو إلا وهمٌ كبير تعيش فيه البنت المراهقة أو المرأة فتصبح عبده له يحركها كيف يشاء ويقودها دون قيود إلى أفعال تخجل منها حيث لا يفيدها البكاء عليها .

ويقول الدكتور / سعيد عبد العظيم فى كتاب « وعاشروهن بالمعروف » :

« فقد أصبحت كلمات الحب من الكلمات الدارجة على كل لسان ينطق بها الكبير والصغير والرجل والمرأة ... فسمعنا عن الحب العذرى العفيف والحب الماجن ، وأحياناً يأخذ هذا الحب وصف الصداقة البريئة والحب الرومانسى والأفلاطونى ، وقام الرجال والنساء يغنون للحب وينشدون فيه الأشعار والقصائد وظهر نوع من الأدب يطلق عليه اسم – الأدب المكشوف – أو أدب الغريزة وخرجت الأفلام والمسرحيات التى تروج لفنون العشق وتعيد على الأمة أشباه قيس وليلى ، وجميل وبثينه ، وكثير وعزة ، وبالجملة فهذا النوع من الحب لا يعرف ديناً ، والدين لا يقره بل هو نوع من الحب الدنئ الخسيس الهابط والقاتل ، وشأنه كشأن سائر السموم والسهوم التى أطلقت على هذه الأمة وبدلاً من أن يلهج لسانه بذكر الله أصبح يلهج بذكر المحبوب وأصبح هواه يسير تبعاً للمرأة أو هى تبعاً للرجل .

وبدلاً من تعلق قلبه بربه تعلق هواه بمعشوقه وأصبح هواه هو مولاه ، إن هذا الحب البغيض ماهو إلا هدم للأمة وإبعاد لها عن دينها وإسلامها آل بها إلى غربة شديدة وجرأة تنادت معها بألقاب معبود الجماهير ومعبودة الجماهير

من المغنيين والمغنيات والفاسقين والفاسقات بل قل هو نوع من الجاهلية التى تقوم على تعبيد الناس لغير ربهم .

والعجيب فى جاهلية هذا العصر أن يتحول هذا الإعجاب إلى فاسقين يبررون فسقهم بمثل قولهم : « القلب يعشق كل جميل » ، وبالحق الذى يراد به الباطل : « إن الله جميل يحب الجمال » .

إن هذا القول كتبرير المشركين عبادتهم غير الله بقولهم ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ ﴾ [1] ، وتحلل الأسر وتفككها ثمرة من ثمار العلمانية اللادينية فبدلاً من أن يبدأ الناس حياتهم بطاعة ربهم لجنى ثمار المودة والرحمة فى الدنيا ولتحصيل معانى الحب الحقيقية المشروعة ، يرون هم رجالاً ونساءً أنه لا سبيل للتعرف إلا بإقامة علاقات قبل الزواج وأن هذا هو طريق الحب الذى سيؤدى بهم إلى السعادة الزوجية بعد ذلك .

فكانت النظرات المحرمة والاختلاط والخلوة بالنساء بل المعاشرة كمعاشرة الأزواج حتى يتعرف عليها وتتعرف عليه فما جنى هؤلاء إلا مرارة ونكداً [2] .

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [3] .

فلابد لنا أن نبحث عن الزواج السعيد فى اتباع أداب الإسلام وهدى رسول الله ﷺ لا فى الكتب الأجنبية التى ينهل منها الكثيرون اليوم ثقافتهم ويأخذون عنها آدابهم وأنماط حياتهم غاشية أبصارهم عن النور الذى يضئ لهم

---

(١) سورة الزمر الآية « ٣ » .
(٢) انظر كتاب « وعاشروهن بالمعروف » تأليف / سعيد عبد العظيم ، بتصرف .
(٣) سورة طه الآيات « ١٢٣ ، ١٢٤ » .

درب السعادة والسلامة مغترين ببريق تقاليد الأجانب الزائف والنظريات المتهافتة التى سرعان ما يبدو فسادها حيث ينشدون اللذة حيثما كانت حتى تمثلت أخيراً فى الإباحية ، فأطلقوا لشهواتهم العنان فى كل اتجاه دون وازع من دين أو رادع من ضمير .

لقد أوصلهم كل هذا إلى مستوى أدنى من مستوى الحيوان وقادتهم إلى الأمراض المستعصية والمهالك وأنى لهم أن يجدوا لمرضاهم « وما أكثرهم » المصابين بالتوتر العصبى والقلق النفسى الراحة والطمأنينة وهدوء البال .

ولا يخدعنك أيها القارئ الكريم ما تراه من الرفاهية المادية والمجاملات الظاهرية والقفزات العالية فى الرقص الخليع والصيحات المبكرة التى ترافقها الموسيقى الصاخبة فكل ذلك لا يغنى عن شقائهم شيئاً فالمثل القائل : « قد يرقص المذبوح من الألم » .

وفى البخارى عن الرسول ﷺ قال : أرأيت فارس والروم ، رد عليه النبى ﷺ بقوله : « **أولئك قوم عجلوا طيباتهم فى الحياة الدنيا** » فقال عمر : فقلت يارسول الله : استغفر لى » [(١)] .

ولما سُئل بن عباس عن قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ [(٢)] ، فقال إن الله تعالى يستوفى جزاء أعمالهم بصحة أبدانهم وإدخال السرور إلى أنفسهم بزيادة الأولاد والأموال ، ثم العقوبة الآخراوية للكافر ، وقد يعجل شيء منها فى الدنيا بكثرة ظلمهم أو اعتدائهم على الأنبياء .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) سورة هود الآية « ١٥ » .

أما الحسنات فهي تُعجل له في الدنيا ، فإذا قدموا على ربهم فلا نصيب لهم إلا النار ، وهكذا كما ترى ليس هناك سعادة ... فقد انتشر عندهم الإيدز ذلك المرض المدمر وكذلك جنون البقر وأمراض أخرى لم يجدوا لها دواء ، كل هذا عقاب إلهي ... إنتحار داليدا ... أو سوزان هيوارد ، وغيرهم من نجوم هوليود ومشاهيرها دليل قاطع على قوله سبحانه : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) ﴾ [(١)] .

فهل من معتبر ؟ ، وهل من مستجيب ؟ وهل من عامل ؟ .

---

(١) سورة طه الآية « ١٢٣ » .

الداء الثالث
زوجات معلقات

تخيل أنك ركبت المصعد ، وأوصدت بابه عليك ، وقبل أن تصل إلى الطابق الذى تستقر فيه ، توقف المصعد وأبى أن يتحرك فضغطت على جرس النجدة ، وصرخت ملء رئتيك فلم يسمعك أحد ، ولم يهب لنجدت أحد .

كأنك صرت وحيداً في جزيرة مهجورة ، وهكذا رحت تصرخ وتصرخ والمصعد مُعَلق بين السماء والأرض ، والأمل كل الأمل أن تطأ قدمك أرضاً مستقرة ، فلا أنت وصلت للطابق الأعلى ولا أنت بقيت فى الطابق الأرضى .

تخيل أنه لم يعد أمامك سوى إكمال حياتك بداخل هذا المصعد المعلق ، وأن كل ثوابت حياتك صارت معلقة هى الآخرى ... تخيل أنك تحولت إلى لعبة « يويو » فصرت كرة رمل معلقة فى خيط مطاطى رفيع ربطه طفل « لاهى » حول إصبعه وراح يؤرجحك يميناً ويساراً ... يجذبك إليه تارة ثم يقذفك بعيداً تارة أخرى .

أنت فى الحالتين مسلوب الإرادة... تنتظر أن ينفتح باب المصعد أو أن يمل الطفل من اللهو بمصيرك فيقذف بك فى أقرب سلة مهملات [(١)] ، برغم أن الله سبحانه وتعالى حذر الرجل من ترك المرأة معلقة فى كتابة الكريم فقال سبحانه ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً (١٢٩) ﴾ [(٢)] .

---

(١) مجلة كلام الناس « داليا السعودى ، الرياض « ص ٢٨ العدد « ٩٩/٣٣٠ » .
(٢) سورة النساء الآية « ١٢٩ » .

هذه الآية دليل قاطع على عدم ترك المرأة معلقة مهجورة كما هو الحال فى المجتمعات العربية المسلمة ، حيث أن الإسلام يتيح تعدد الزوجات ، ولكن الذى لا يرضاه الإسلام تركهن معلقات لا هن يحملن لقب المطلقات ولا ينعمن باستقرار الحياة الزوجية الطبيعية .

لقد أصبحت هذه الظاهرة متفشية فى المجتمعات العربية ، وهى دون شك تحمل فى ثناياها آفات مسمومة تنهش كيان الأسرة والمجتمع ، وهى أيضاً دون شك مرتبطة فى معظم الحالات بمفهوم الرجل الشرقى لإباحة تعدد الزوجات .

إن الدراسات الاجتماعية والنفسية التى تابعت هذا الموضوع أكدت لى أن ثمة سيناريو يتكرر فى معظم الحالات ، إذ تبدأ المشكلة بنشوب الخلاف بين الزوجين وينقطع الإتصال بينهما ، أو تظهر فى الصورة زوجة أخرى للرجل الذى يرفض تطليق زوجته الأولى إمعاناً فى إذلالها أو يرفض إعادة المياه إلى مجاريها لأنه ببساطة لم يعد يكترث حقيقة أن الزوجة معلقة لأجل غير مسمى تتجرع فيه مرارة الصبر .

وفى بعض الأحيان لا يمكن لبعض النساء أن يصبرن على هذا ، بل إن هذا الوضع يمكن أن يندرج بها إلى طريق الخطيئة أو الضياع ، كذلك فإن العامل النفسى الشديد الذى تعانى فيه المرأة من هذا الوضع يفقدها الثقة فى النفس مما يجعلها تتمرد فتخلع الحجاب وتخرج من البيت متبرجة واضعة من المساحيق ما يجعلها أراجوز بألوان غريبة .

كل هذه العوامل دون وعى منها يجعلها تنساق إلى شراك الشيطان الخفى الذى يوسوس لها كيف يشاء ... إلا من رحم ربى .

فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن جابر ﵁ عن النبى ﷺ أنه قال :

« إن الشيطان يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فى الناس ، فأقربهم عنده منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول : مازلت بفلان حتى تركته وهو كذا وكذا ، فيقول إبليس : لا والله ما صنعت شيئاً ، ويجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله ، قال : فيقربه ويدنيه ويقول : نعم أنت » [(١)] .

فاحذر أن تُطيع الشيطان ، واحذر أن تفهم معنى الدين الحنيف خطأ ، أو أن تتظاهر أنك لا تعلم لأن الدين الإسلامى لم يترك فى مسألة الزواج والطلاق ثغرة ولو صغيرة لم يتناولها بالشرح أو التفسير .

إن القرآن الكريم والسُّنة قد أوجدا كثيراً من البراهين والدلائل التى تحمى النساء فى كافة أوضاعهن حماية صارمة ، عادلة واضحة وباهرة لم تصل إلى مستواها كل دعاوى حقوق المرأة فى العصر الحاضر .

إن الأركان الأساسية فى البناء الإسلامى للأسرة فى المجتمع الإسلامى قد وضعت قواعد للتعامل مع النساء فى مختلف أدوارهن المرأة الأم ، المرأة الزوجة أو البكر والثيب والكارهة لزوجها والرغبة فيه ، وجعل عقدة النكاح من أسمى العقود وأجلّها وأشدها حرمة وميثاقاً .

فإذا نظرنا من الزواية الإسلامية إلى « المعلقات » لانجد بتاتاً فى الإسلام ما يقر التعليق أو يحض عليه ، بل نزلت الآية الكريمة تنفيه وتحذر منه .

﴿ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ [(٢)] ، دعوة صريحة ليس فيها أى شك ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « من كان له امرأتان

---

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحه .
(٢) سورة النساء الآية « ١٢٩ » .

فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة شقه مائل »[1] ، كذلك فإن الرسول عليه الصلاة والسلام حينما مرض راح يدور على نسائه ويقول : أينا أن غداً »[2] ، حتى لا يظلم إحداهما وهو مريض .. وكان يمن له أن يرقد عن أحبهن إلى قلبه ويسكن لأنه مريض .. ولكنه لم يفعل ذلك خوفاً من الظلم وعدم العدل وعندما شق علهى المرض إستأذن لقوله ﷺ : « إنى لا أستطيع أن أدور بينكم فإن رأيتن أن تأذن لى فأكون عند عائشة ففعلن فأذن له »[3]

تعدد الزوجات[4] :

فالدين لا يضيره إساءة بعض المسلمين فى استغلال رخصة التعدد دون عدل ، والإسلام يعلو ولا يعلى عليه وهو الميزان والضابط الذى يزن أفعال العباد وأقوالهم ، فمن وافقه كان على حق ، ومن خالفه وجب عليه أن يراجع نفسه ويتوب إلى ربه .

وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وعلاج الظلم والجوار الذى يحدث من البعض إذا تزوج بأخرى لا يكون بمنع ما أباحه الله وإنما يكون ذلك بالتربية والتعليم وتفقيه الناس فى أحكام الدين .

ويجب أن نعلم أن الضرر الحاصل من إباحة التعدد أخف من ضرر حظره ومنعه ، والشرع قد أتى بإرتكاب أخف الضررين إذا لم يمكن استدفاع كلاهما.

---

(١) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه أبو داود .
(٤) « وعاشروهن بالمعروف » الشيخ / سعيد عبد العظيم .

ويضيف المؤلف أيضاً أنه يأثم الإنسان إذا تزوج على امرأته بقصد المغايظة فحسب ، أو لمجرد الإضرار بها لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ [(١)] .

ولقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [(٢)] .

هذا هو ديننا الحنيف يُعلم الرجل حُسن المعاشرة والمعاملة بالمعروف ، لأن الرجل هو الذى بيده عقدة النكاح ... هو الذى يستطيع أن يطلق امرأته وقتما شاء ويردها وقتما شاء فى حدود الشرع . فبيده ظلمها أو إنصافها .

سفر الزوج سبب فى تعليق الزوجة :

فالمرأة تصبح معلقة ليس فقط حينما يتزوج الرجل عليها ، وإنما كذلك حين يسافر زوجها سواء كان هذا بطبيعة العمل فى إحدى البلاد العربية أو الغربية أو حينما يعمل كضابط بحرى يتنقل من بلد إلى آخرى على ظهر سفينته ، ويترك زوجته سنوات وسنوات بحجة تأسيس مستقبل الأسرة والأولاد ، فكيف يكون تأسيس الأسرة ... وقد ترك الأسرة دون رقيب أو محرم لها ... فى هذه الأيام الصعبة ترك الزوجة تقف وحيدة وسط أعاصير الحياة المستمرة تجاهد وحيدة فى تربية الأولاد مما يحولها هذا العناد [(٣)] ، إلى آله ميكانيكية تستهلك سريعاً .

منهكة الأعصاب والصحة ... ليأتى هو من الغربة ويتمرد عليها بعد أن

---

(١) سورة الطلاق الآية « ٥ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ٢٣١ » .
(٣) العنا : المكابرة والمثابرة لتربية الأولاد .

أصبحت معلقة فترة ليست بقصيرة .

كيف يحدث هذا فى البشر وتأباه الحيوانات والطيور وغيرها من الكائنات التى خلقها الله بنظام وحكمة شديدة لاستمرار نوعها والمشاركة والتعاون والتضحية والعمل بجد واجتهاد هو أساس كل أسرة والمحافظ على نوعها لتعيش وتبقى ونحن نهدم ونتمرد ! .

ففى كتاب العالم « أ - كريسبى موريسون » رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك « الإنسان لا يقوم وحده » [1] ، فى الفصل الرابع يقول : « فى خليط الخلق قد أتيح لكثير من المخلوقات أن تبدى درجة عالية من أشكال معينة من الغريزة والذكاء أو ما لا تدرى ، فالدبور مثلاً يصطاد الجندب النطاط ويحفر حفرة فى الأرض ويضع الجندب فى المكان المناسب تماماً حتى يفقده وعيه ، ولكنه يعيش كنوع من اللحم المحفوظ ثم تأتى الأنثى لتضع بيضاً فى المكان المناسب بالضبط ، ولعلها تبدى أن صغارها حين تفقص عليها أن تتغذى عليه، تعاون أب وأم من أجل الصغار وإن أنثى الدبور تغطى حفرة فى الأرض وترحل ثم تموت ، فهل هى تدرى أنها عاشت وعملت من أجل حفظ نوعها وأطفالها فهذا النموذج وغيره يدل على مدلول قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) ﴾ [2] .

وإذا حمل الريح فراشة أنثى من خلال نافذة فى بيتك فإنها لا تلبث حتى تُرسل إشارة خفية وقد يكون الذكر على مسافة بعيدة ، ولكنه يلبى الإشارة ويجيبها مهما أحدثت أنت من رائحة بقصد تضليلها » .

---

(١) ترجمة الأستاذ / عمرو صالح الفلكى بعنوان : « العلم يدعو إلى الإيمان » .
(٢) سورة الأعلى الآيات « ٢ ، ٣ » .

تعاون مثمر بين الكائنات وبعضها للاستمرار فى الكون بشكل مهذب ومتعاون دون فوضى أو أنانية ... .

حتى خلايا جسم الإنسان ، كل خلية تُنتج فى أى مخلوق حى يجب أن تُكيف نفسها لتكون جزءاً من اللحم وإن تُضحى بنفسها كجزء من الجلد الذى لا يلبث حتى يبلى ، فعليها أن تضع ميناء الأسنان ، وأن تنتج السائل الشفاف فى العين ، أو أن تدخل فى تكوين الأنف أو الأذن ... ثم على كل خلية أن تكيف نفسها من حيث الشكل وكل خاصية أخرى لازمة لتأدية مهمتها .

ومن العسير أن تتصور أن خلية ماهى ذات يد يمنى أو يسرى ولكن إحدى الخلايا تصبح جزءاً من الآذن اليمنى بينما الآخرى تصبح جزءاً من الأذن اليسرى ... لتحيا أنت أيها الإنسان وتعيش إلى أن يشاء الله .

ونحن لا نفهم هذا ولا ندركه بل يهجر رب الأسرة البيت لبناء نفسه وبنفس اليد يهم بيته وأولاده ، كيف هذا ... ولم ؟ .

إذ أن الله سبحانه وتعالى قد أمر المسلمين بأن يتعاونوا على البر والتقوى فى كل الأمور سواء كان هذا داخل الأسرة أو خارجها خوفاً على المجتمع الإسلامى ولبقاء القيم الإسلامية فى خير حال ، قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [1] ، فليتق الله كل زوج فى زوجته وأولاده ، وليتعاون معهم بحب ليحيوا حياة سعيدة لأنهم أمانه عنده ولابد أن يتق الله فى هذه الأمانة .

ولأن هذه المشكلة لها أثرها الكبير على أطفال الزوجة نظراً لافتقارهم إلى

---

(١) سورة المائدة الآية « ٢ » .

الشعور بالأمان والاستقرار والحرمان العاطفى ومن خلال العديد من الحالات المرضية تبين أن دوافع هذا السلوك وأسبابه كامنه فى طفولتهم وأسلوب تربيتهم الأولى ، فالأسرة هى المسئولة عن إشباع الحاجات الأساسية للطفل ، والمسؤلة عن الانحرافات التى يقع فيها الطفل .

الفصل الثاني
دواء الداء

بعد أن تعرفنا سوياً على الأدواء التى هى بمثابة الآفة التى تخرب جذور الأسرة المسلمة ، لابد لنا أن نبحث عن الدواء الذى يعالج هذه الأدواء ونعمل على الفتك بكل تلك الآفات التى يمكن لها أن تدمر الأسرة المسلمة .

علينا بالعودة إلى المسالك الصحيحة بعد ما أخذتنا خطواتنا بعيداً عنها تائهين فى عالم آخر ملئ بالفتن والشرور بعيداً عن مسالك الحق والخير والهدى ...

إن هذا الفصل بمثابة الدعوة التى أرسلها إلى كل مسلم ومسلمة ... دعوة فيها عنوان كل منا من أبناء المسلمين ليعود إلى المسلك الصحيح بعد ضياع دام كثيراً ... ولعلى فى هذا الفصل أستطيع أن آخذ بيد كل من يحتاج إلى العودة إلى منهج السُّنة المحمدية ... .

هذا المنهج الصحيح السليم الذى علمنا إياه الرسول عليه الصلاة والسلام .. المنهج الذى لابد لكل أسرة مسلمة أن تتبعه وتعمل به لأنه هو طوق النجاة فى هذه الأمواج المتلاطمة الهوجاء التى أغرقت أمتنا الإسلامية .

هذه الأمواج التى جعلتها تعيش فى سُبات عميق ... فى ظلام طال علينا ولابد أن يطلع فجر جديد ... فهيا بنا نضع أرجُلَنا على الطريق الصحيح والمنهج القويم لآداب النبوة العظيمة فى البيت المسلم وللأسرة المسلمة .

فإذا أراد أى منا بيتاً إسلامياً صحيحاً فلابد له من إتباع احتياطات الإسلام فى الزواج .

وعلى هذا فإن الإسلام قد اتخذ احتياطات فى غاية الأهمية تلافياً للطلاق وتتمثل هذه الاحتياطات فى مرحلتين .

١ – إحتياطات ما قبل الزواج .

٢ – إحتياطات ما بعد الزواج .

احتياطات ما قبل الزواج

وهنا يقصد بها الأسس التى يجب على كل من الشاب والفتاة الأخذ بها والإلتزام بها .

أولاً : الدين :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (1) .

﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ﴾ (2) .

وقد حث رسول الله ﷺ كلاً من الزوجين على أن يختار شريك حياته من ذوى الدين فقال ﷺ : « تنكح المرأة لأربع ، لمالها ، ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » (3) .

فهو المرغب الأهم فى نظر الإسلام وهو الذى ينبغى أن يحرص عليه كل عاقل دون تناسيه للأمور الآخرى من مال وحسب وجمال .

يقول الإمام الغزالى - حجة الإسلام - رحمه الله تعالى فى بيان صفات الزوجة الصالحة معللاً بذلك أن تكون ذات دين فهذا هو الأصل وعليه ينبغى أن يقع الإختيار فإنها إن كان ضعيفة الدين فى صيانة نفسها أزرت زوجها وسودت بيد الناس وجهه وشوشت الغيرة قلبه ولم يزل فى بلاء ومنحه .

هذا بالنسبة للمرأة ، أما بالنسبة للشاب أو الرجل فلابد أن يختار أهل الفتاة

---

(1) سورة الحجرات الآية « 13 » .
(2) سورة النور الآية « 31 » .
(3) رواه البخارى ومسلم ، والمعنى المقصود هو افتقرت يداك إذا لم تختار ذات الدين .

الشاب صاحب الدين فلا يبهرهم الحسب أو النسب ولا المال ، فهذا الذى يحفظ دين الله ويعمل به يحفظ ابنتك ويتقى الله فيها ، فلا يظلمها ولا يهينها وإنما يتعامل معها بما حفظ من آيات الله ، وبما تعلمه من آداب النبوة فيعيش معها فى أسعد حال .

وقد صح أنه مر رجل على النبى ﷺ فقال: « **ما تقولون فى هذا** ؟ قالوا : هذا مرء إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع ، وإن قال أن يسمع ، ثم سكت ، فمر رجل من فقراء المسلمين **فقال النبى ﷺ : ما تقولون في هذا** ؟ قالوا : هذا مرء إن خطب ألا ينكح ، وإن شفع ألا يشفع ، وإن قال لا يسمع ، **فقال رسول الله ﷺ** : « **خير من ملأ الأرض من مثل هذا** » .

ولكن هناك تنبيهاً للرجال إذا وجدوا تيسيراً فى الزواج أن يواجهوا النعمة بالشكر ويحمدوا الله على ذلك حمداً كثيراً وعليهم أيضاً أن يعرفوا الفضل لأهله فلا طغيان ولا تحقير لشأن المرأة لكونها ووليها نزلوا على سُنة رسول الله ﷺ يحفظوا عنه مؤنه الزواج وتكاليفه ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله والجزاء ينبغى أن يكون من جنس العمل ، بل إن الكريم قد يعفو ويصفح عن الإساءة إذا قوبل الإحسان .

وكان الحسن البصرى يقول : « النساء وما أكرمهن إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم » وهذا التنبيه يتأكد إذا عرض الرجل ابنته على من يتوسم فيه الصلاح وهذا دأب الصالحين فقد عرض شعيب إحدى ابنتيه على نبى الله موسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – وكذلك عرض عمر ابنته حفصه على أبى بكر وعثمان.

فإذا عرض عليك مثل هذا العرض السخى وكنت محلاً للثقة المناسبة فإن

قبلت فقل جزاكم الله خيراً ، وإن لم تدعك الحاجة فقل أنا لست أهلاً لهذا الفضل ، ولا محلاً لهذه الثقة وإياك والتنطع والكبر والغرور »[1] .

ثانياً : حُسن الخلق :

وذلك أصل مهم فى طلب الهناءة فى العيش والاستقامة فى الدين ، فإنها إن كانت سليطة اللسان ، سيئة الخلق ، كافرة للنعم كان ضررها أكثر من نفعها ، والصبر على لسان المرأة مما يمتحن به الأولياء .

قال بعض العرب :

لا تنكحوا من النساء ستة : لا أنانة ، ولا منانة ، ولا حنانة ، ولا تنكحوا حداقة ، ولا براقة ، ولا شداقه .

١ – **أما الأنانة** : هى التى تكثر الأنين والتشكى وتعصب رأسها كل ساعة فنكاح الممراضه أو المتمارضة لا خير فيه .

٢ – **والمنانة** : التى تمن على زوجها فتقول : فعلت كذا وكذا لأجلك .

٣ – **والحنانة** : التى تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر .

٤ – **البراقة** : هى التى تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء .

٥ – **والحداقة** : التى ترمى إلى كل شيء بحدقتها وتكلف الزوج شراءه .

٦ – **الشداقة** : المتشدقة وهى كثيرة الكلام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله يبغض الثرثارين المتشدقين » .

---

(١) « وعاشروهن بالمعروف » « ١٠٣ » الشيخ / سعيد عبد العظيم .
(٢) الطلاق تاريخاً وتشريعاً ، خاشع حقى .

ثالثاً : الجمال :

إذ به يحصل التحصين ، والجمال له مقاييس كثيرة لا تقتصر على جمال الوجه أو الجسم ، إنما الجمال شيء نسبى ، فالجمال يمكن أن يكمن فى الأخلاق أو الطباع فى السمار أو البياض فى أشكال شتى فى المرأة ولا يقتصر على جمال الوجه أو الجسم .

وفى حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بخير ما يكتنز المرء ، المرأة الصالحة ، إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » [(١)] .

ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال أن الألفة والمودة يحصلان به غالباً وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر .

فقال عليه الصلاة والسلام : « إذا ألقى الله فى قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها » [(٢)] .

والغرور يقع فى الجمال والخلق فيستحب إزالة الغرور فى الجمال بالنظر ، وفى الخلق بالوصف والاستيصاف وأن يقدم ذلك على النكاح ولا يستوصف فى أخلاقها وجمالها إلا ممن هو بعيد صادق خبير بالظاهرة والباطن ولا يميل فيفرط فى الثناء ولا يحسدها فيقعد ، فالطباع مائلة فى مبادئ النكاح ووصف المنكوحات بل الإفراط والتفريط كل من يصدق فيه أو يقتصد بل الخداع والإغراء أغلب ، والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته [(٣)] .

---

(١) صحيح متفق عليه .
(٢) أخرجه أحمد فى مسنده والحاكم والبيهقى عن محمد بن مسلمة .
(٣) الزواج السعيد ، للغزالى .

رابعاً : الخطبه [1] :

وهى مرحلة يمر بها الزوجان قبل العقد وقد وضع الشرع لها حدوداً يجد لكل مسلم ومسلمة أن يعرفها ونبينها باختصار .

فلم يسمح الشرع الإسلامى بالنظر للخاطب إلا للوجه والكفين لحديث الرسول ﷺ : « إذا ألقى الله فى قلب امرئ خطبه إمرأة فلا بأس أن ينظر إليها » [2] .

وكذلك حديث أبو هريرة رضي الله عنه كنت مع النبى ﷺ فأته رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال رسول الله ﷺ : أنظرت إليها ؟ فقال : لا ، قال : -فانظر إليها إن فى أعين الأنصار شيئاً – يعنى الصفر – » ، وفى رواية أخرى : « انظر إليها ، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » [3] .

وقد فهم العامة موضوع « الخاطب إلى المخطوبة » بشىء لم يتناسب مع الإسلام وظهرت فيهم عادة سيئة تفشت فى أسر المسلمين– ويا للأسف – وهى عادة الإختلاط المحرمة قبل عقد الزواج بقصد التجربة والاختيار .

وقد جاء فى رسالة « تقاليد يجب أن تزول » « منكرات الأفراح » وقد قمت بتحقيق والتعليق عليه وصف رهيب لهذا الاختلاط ونتائجه العظيمة ننقله للأباء والأمهات ليكونوا على حذر منه .

باسم المدنية الخداعة التى غرتنا فى ديننا وأخلاقنا وسلوكنا وصرنا أسرى لها باسم هذه المدنية والتقليد الأعمى قبلنا وضعاً شاذاً لا يتناسب مع خلق ولا دين ، ألا وهو الاختلاط بين الخطيبين على سبيل التجربة قبل الزفاف ،

---

(١) تحفة العروس ، محمود مهدى الأسطنبولى .
(٢) أخرجه أحمد فى مسنده والحاكم والبيهقى عن محمد بن مسلمة .
(٣) أخرجه البخارى والنسائى وأخرجه أحمد وابن ماجه .

وأطلقنا الحبل على الغارب فى هذا المضمار حتى تم الاختلاط على أبشع صوره دون رقيب أو حارس من ضمير أو أهل أو دين .

والفريسة لقمة سائغة للوحش الضارى باسم الحضارة ، ولا تسأل عن الفضائح والمخازى التى نجمت ولا تزال تسود أبهر الصحف كل يوم من الاختلاط الآثم ، حتى صار عادة لا يتمعر لها وجه ولا يندى لها جبين ، وبعد أن يمتص الثعبان رحيق متعته ويمل منه طبعاً - فإن المملوك وأحب شيء إلى الإنسان ما منع - يجهر هذه تحت أى عيب يلصقه بها يحملها من أجله عاراً أو ثاراً . وقد تكون حاملة آية الجريمة الخُلقية فى أحشائها ثم يبحث عن فريسة أخرى ويبور بذلك سوق الزواج .

فما الذى يدعو هذا الشاب الطليق الذى ينطلق من بنت إلى بنت ، ومن امرأة إلى أخرى بلا حسيب ولا رقيب ، وما الذى يدعوه إلى قيد الزواج وتبعاته وأغلاله والمتبرجات والمسيبات يعرضن أعز ما يمكن عليه بالإثم .

هنا يحجم الشبان الإقتران بالحلال ، ويتساءل الأباء والأمهات عن هذا الإعراض ما سببه ؟ وما هى إلا المدنية الكاذبة التى حملنا أوزارها وهجرنا من أجلها تقاليدنا وديننا وشرفنا .

إن الإسلام يحذر من خلوة الأجنبية بالأجنبى وينذر بأن الشيطان ثالثهما ، ويقول الرسول ﷺ : « **ما تركتُ بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء** »[1] .

يقول بعضهم : لو لم يبق فى الدنيا إلا عرق رجل وامرأة لحن كلاهما

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

للآخر » .

والمرأة إن ظهرت إلى الخاطب فى حصن حجابها لتمناها وهو فخور بها مطمئن إليها .

ويقول ابن القيم الجوزى – رحمه الله – :

« إن يؤدم بينكمـا » أن يلاءم ويوفق ويصلح ، ومنه الوأم الذى يصلح به الخبز ، وإذ وجد ذلك كله وانقضت المناسبة والعلاقة التى بينهما لم تستحكم المحبة وربما لم تقع البتة ، فإن التناسب الذى بين الأزواج من أقوى أسباب المحبة » [1] .

ومما يؤلم ويحزن فى النفس أن كثيراً من الآباء يمتنع عن السماح للخاطب برؤية ابنته ويسمح له بإعطاء صورتها الشمسية التى التقطها لها أجنبى عنها وهى بحالة يندى لها الجبين !! ، وربما نتج عنها المساوىء نتيجة بقاء الصورة عند المصور أو الخاطب عن طريق نسخها ، وكل ذلك نتيجة ترك السُّنة النبوية !! والتمسك بالعادات الباطلة .

وقد اختلف العلماء فى المقدار الذى يباح النظر إليه فقيده بعض المذاهب بالنظر إلى الوجه والكفين فقط .

وكما للرجل أن ينظر فى دين المرأة ينبغى للولى أن ينظر عادة فى دين الرجل وأخلاقه وأحواله لأنها تصير بالنكاح موثوقة ولذا زوجها من فاسق أو مبتدع فقد جنى عليها وعلى نفسه .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

خامساً : المهر والحرص على وفائه [1] :

قال تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ [2] نِحْلَةً [3] فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ [4] .

ينبغي أن نعلم بهذه المناسبة أن المهر والصداق هو حق المرأة تملكه كما تملك أى مال لها ، وليس لزوجها حق الولاية عليه كله ولا بعضه ، كذلك لا حق للزوج أن يجبر زوجته أن تتجهز إليه بشيء من الصداق قل أو كثر ، فإن عليه السكن ، وعليه جهاز البيت ، وعليه كسوتها وسائر نفقاتها « بخلاف ماهو شائع اليوم » إلا أن تطيب هي نفساً بشيء من ذلك .

دليل ذلك من كتاب الله سبحانه ، قوله تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ .

فما يفعله كثير من الأزواج من إرهاق أهل زوجته بشراء ألوان الثياب ، والأثاث والتحف والآنية هو من قبيل أكل أموال الناس بالباطل ، ومخالف كل المخالفة لما شرع الله تعالى لعباده ، وذلك ما لا يقبل عليه ذو كرامة أو يرضاه لنفسه مؤمن بالله واليوم الآخر .

إن كثيراً من الشباب أو من الأزواج يطلب بنفسه أن يكون الجهاز كيت وكيت ، فيضطر أهل الزوجة إلى أن ينفقوا صداقها ومثله أو أمثاله معه ، وقد يركبهم بذلك دين كثير ، فمثل هذا الجهاز لا بركة فيه ، لأن النفوس لم تطب به ولأن الزوج بتحكمه هذا إنما يتبع سبيل الاكراه والإجبار على

---

(١) الزواج السعيد ، مرجع سابق .
(٢) صدقاتهن : المهر .
(٣) نحلة : عطية عن طيب نفس .
(٤) سورة النساء الآية « ٤ » .

ما ليس له بحق .

وقد جرى العرف فى بلادنا على أن تجهز الزوجة بصداقها أو بما يزيد عليه ، ولا حرج فى ذلك ما دامت قد طابت نفسها بذلك ولم يضطرها هو إليه ، وفى هذه الحالة يجب تجنب السرف والمغالاة التى يقصد بها الزهو والمخيلة ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) ﴾ [(١)] .

فأولئك الذين يلتزمون الأثاث المموه بالذهب ، ويجهدون أن يكون منه آنية الذهب والفضة ، إنما يسلكون طريق الشيطان ويتكلفون ما يذهب بيسر المؤنة ، ويحلون لأنفسهم ما نهاهن عنه النبى ﷺ بقوله : « إن الذى يأكل ويشرب فى آنية الذهب والفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم » [(٢)] .

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (٢١) ﴾ [(٣)] .

وأحاديث النبى الكريم فى المهر كثيرة منها قوله ﷺ : « أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج » [(٤)] .

وكذلك : « أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر ، أو كثر ، وليس فى نفسه أن يؤدى إليها حقها ، فخدعها ، فمات ولم يؤد إليها حقها ، لقى الله يوم القيامة وهو زان » [(٥)] .

---

(١) سورة الإسراء الآية « ٢٧ » .
(٢) سنده صحيح .
(٣) سورة النساء الآيات « ٢٠ ، ٢١ » .
(٤) أخرجه البخارى ومسلم .
(٥) الطبرانى وهو حديث صحيح .

أخطاء وشبه [1] :

١ — اعاد كثير من الناس عند العقد أن يثبتوا مقدم الصداق بخمسة وعشرون قرشاً ، ويتوهمون أن هذه هي السُّنة ، وفي الحقيقة فهذا التحديد مخالف لما ثبت عن الرسول ﷺ ، فعن أبي سلمة قال : سألت عائشة : كم كان صداق النبي ﷺ قالت : كان صداقه لأزواجه اثنتى عشره أوقية ونشأ ، قالت : أتدري ما النشأ ؟ قلت : لا قالت : نصف أوقية فتلك خمسمائة درهم » [2] .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما تزوج عليّ فاطمة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ : « أعطها شيئاً ، قال : ما عندى شيء . قال : أين درعك الحطمية فأعطها إياه » [3] .

٢ — التغالى في المهر غير مستحب : فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « ألا تغالوا بصداق النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بها نبى الله ﷺ ، ما علمت رسول الله ﷺ نكح شيئاً من نسائه ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من اثنتى عشرة أوقية » [4] .

٣ — نكاح الشغار : وهو من جملة الأنكحة الفاسدة التى أبطلها الإسلام حيث كان الرجل يزوج ابنته أو أخته مقابل أن يزوجه الآخر ابنته أو أخته ، ولا تأخذ إحداهما شيئاً .

---

(١) وعاشروهن بالمعروف ، مرجع سابق .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه النسائي والحاكم .
(٤) رواه أحمد والترمذى .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الشغار فى حديث مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله ﷺ عن الشغار : والشغار أن يقول الرجل : زوجنى ابنتك وأزوجك ابنتى ، أو زوجنى أختك وأزوجك أختك »[1] .

وقد أجمع الفقهاء على أن نكاح الشغار لا يجوز ولكنهم اختلفوا فى صحته ، والجمهور على البطلان .

قال الشافعى : هذا النكاح باطل كنكاح المتعة .

وقال أبو حنيفة : جائز ولكل واحد منهما مهر مثلها .

---

(١) رواه مسلم .

وصايا ما قبل الزواج

استحباب وصية الزوجة :

قال أنس رضي الله عنه : كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا زفوا امرأة إلى زوجها يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه .

١ - وصية الأب ابنته عند الزواج :

أوصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابنته فقال :

إياكِ والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق .

وإياكِ وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء .

وعليكِ بالكحل فإنه أزين الزينة .

وأطيب الطيب الماء .

لما حمل القرافصة بن الأحوص ابنته نائلة إلى أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وقد تزوجها ، نصحها أبوها بقوله : أى بنيتى : إنك تقدمين على نساء من نساء قريش هن أقدر على الطيب منك فاحفظى عنى خصلتين : تكحلى وتطيبى بالماء حتى يكون ريحك ريح شن [١] أصابه مطر [٢] .

٢ - وصية أم لأبنتها عند الزواج :

خطب عمرو بن حجر ملك كنده ، أم أياس بنت عوف بن مسلم الشيبانى ولما حان زفافها إليه خلت بها أمها أمامة بنت الحارث فأوصتها وصية تبين فيها

---

(١) الأغانى لأبى فرج الأصفهانى .

(٢) الشن : القربة .

أسس الحياة الزوجية السعيدة وما يجب عليها لزوجها مما يصلح أن يكون دستوراً لجميع النساء ، فقالت :

أى بنيه :

إنك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخلعت العش الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً ، فكونى له أمة يكن لك عبداً وشاكياً ، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها من شدة حاجتهما إليها كنتِ أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خُلقن ولهن خُلق الرجال فاحفظى له خصالاً عشراً تكن لك ذخراً :

أما الأولى والثانية :

فالخضوع له بالقناعة ، وحُسن السمع له والطاعة .

أما الثالثة والرابعة :

فالتفقد لمواضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة :

فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبه وتنغيص النوم مغضبه.

فأما السابعة والثامنة :

فالاحتراس بحاله والإرعاء على حشمه وعياله ، وحلال الأمر فى المال حسن التقدير ، وفى العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة :

فلا تعصين له أمراً ، ولا تفشين له سراً ، فإنك إن خالفت أمره أو غرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره ، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتماً ، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً .

٣ - وصية العم لصهره :

لما خطب عليٌ رضي الله عنه إلى رسول الله فاطمة فقال : « هي لك على أن تُحسن صحبتها » .

خطب عثمان بن عتبة بن أبي سفيان إلى عمه عتبه ابنته ، فأجلسه بجانبه وأخذ يمسح على رأسه ثم قال : أقرب قريب ، خطب أحب حبيب ، لا أستطيع له رداً ، ولا أجد منه إسعافه بداً ، قد زوجتكما وأنت أعز عليّ منها ، وهي ألصق بقلبي منك ، فأكرمها يتعذب على لساني ذكرك ، ولا تهنها فيصغر عندي قدرك ، وقد قربتك مع قربك ، فلا تبعد قلبي عن قلبك .

٤ - وصية الزوج لزوجته :

قال أبو الدرداء لامرأته :

إذا رأيتني غضبت فرضني — إذا رأيتك غضبى رضيتك

خذ العفو مني تستديمي مودتي — ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

ولا تنقريني نقرك الدف مرة — فإنك لا تدرين كيف المغيب

ولا تكثري الشكوى فتذهب بالقوى — ويأباك قلبي والقلوب تقلب

فإني رأيت الحب في القلوب والأذى — إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب[1]

---

(١) وللمزيد من الوصايا يمكن الرجوع لكتاب « تحفة العروس » محمود مهدي الاستانبولي .

ولكن الوصية الحقيقة لكل من الزوج والزوجة أن يعلما أنه لابد لكل منهما أن يبدأ حياته مع الآخر بنية التقوى ، أى ينوى كل منهما أن يتق الله فى الآخر ، وليعلم الزوج أن زوجته ليست فاطمة أو عائشة وكذلك هو ليس أبى بكر أو عمر ، وإنما لكل منهما أخطاء والتى ربما لا يراها فى نفسه ، فعلى الآخر أن يقابل هذه الأخطاء بتسامح وتقوى وحب فى الله ثم يبدأ علاج هذه الأخطاء بالتى هى أحسن .

احتياطات ما بعد الزواج

هذه الاحتياطات لابد أن نأخذها بشكل جاد وتعلُّم لأنها بمثابة العلم الذى لابد لنا أن نتعلمه قبل أن نسكن تلك الغابة المليئة بالأخطار والمجاهل ، فلابد لنا من دراسة الخريطة التى تقودنا إلى الطريق السليم دون أن يفقد أى منا معالم طريق النجاة من المآثم والأخطاء الشرعية .

ولتحويل هذه الغابة إلى مكان آمن نستطيع العيش فيه قبل أن يأتى هادم اللذات « الموت » ويجد الإنسان ما قدم وما آخر عبارة عن أعمال قد خربت آخرته وهو يعلم أن الله سبحانه وتعالى يحاسب المرء عن مثقال ذرة .

فحاول أن تتق الله فى زوجتك وأنت فى زوجك وأولادك فلابد أن تأخذوا بأسباب الوقاية كما قال الله تعالى : ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [1] ، فالوقاية لا تأتى إلا بالدرسة والعلم ، أى لابد من دراسة التشريع الإسلامى لكل جوانب الحياة .

ولما لا والجامعات الأوروبية تعلم عن التشريع الإسلامى الشيء الكثير ، إذ تدرس هذا التشريع فى كلياتها الإنسانية ، وقد عقد مؤتمر لرجال القانون والقضاء فى ڤيينا بالنمسا دعى إليه المتخصصين من كافة أنحاء وألقى رئيس جامعة ڤيينا خطاباً أشاد فيه بالتشريع الإسلامى أيما إشادة وقال :

« إن البشرية لتفخر بانتساب رجل إليها كمحمد – عليه الصلاة والسلام – فعلى الرغم من أميته استطاع أن يأتى بقانون [2] ، سنكون نحن الأوروبيون

---

(١) سورة التحريم الآية « ٦ » .

(٢) نحن نعلم أن سيدنا محمد ﷺ يطبق ما أمره الله تعالى به وما أُنزل عليه ولم يأتى بقانون وإنما بتشريع .

أسعد ما نكون عندما تصل إلى قمة هذا القانون بعد » .

فإذا أردنا أن نعيش حياة زوجية سعيدة لابد لنا من أن نعلم معنى ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [1] . كذلك ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [2] ، بالمودة والرحمة .

والمسألة ليست مقصورة على كيفية التعامل مع الزوج أو الزوجة بل هى أكبر من ذلك بكثير ... فالمسألة هى كيفية العيش بعد بناء الأسرة فى سعادة ... سؤال يبحث عنه كثير من الناس ، فالكل يبحث عن السعادة بشكل مختلف عن الآخر فهناك من يبحث عنها بالذهاب إلى دور السينما والمسارح ويعيش حياة الاستهتار وهو يتخيل أنه يبحث عن السعادة ، وهناك من يبحث عنها أمام التليفزيون من مسلسلات وأفلام وغيرهم من خلال القراءة ، والثالث من خلال مزيد من الدراسة والرابع من خلال الرحلات من بلد إلى آخر ... كل هؤلاء يبحثون ، وفى النهاية لا يمكن أن يصلوا إلى تلك السعادة التى يبحثون عنها ولابد أن تجد حياتهم مليئة بالشقاء والعذاب ويتمنى أى منهما أن يعيش فى سعادة .

فالسعادة طريق لا يعرفه إلا من تعلم كيف يعبد الله سبحانه وتعالى ، فالسعادة ليست فى العمل ولا فى المرح ولا بالفسح وغيرها وإنما تكمن السعادة فى الطاعة وكيفية آداءها ... فالإنسان أمانة ونفسه أمانة والأمانة لابد أن نحافظ عليها ، فلابد له من أين يحافظ على نفسه من العذاب يوم القيامة ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [3]

---

(١) سورة النساء الآية س « ١٩ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ٢٢٨ » .
(٣) سورة ق الآية « ٢١ » .

وإذا أدى الإنسان الأمانة بشكل يرضى الله به عنه وصل إلى تلك السعادة التى يضعها الله سبحانه وتعالى فى قلبه ، فالإنسان كلما زادت طاعته لله زاد حب الله له ... هذا الحب الذى هو غاية كل منا وإذا أحب الله عبده استعمله فى كل ما يرضى الله به عنه وحفظه وحباه بهذا الحب الإلهى الذى يشبع قلبه بالسعادة التى لا يضاهيها سعادة .

وما قصدت من هذه الكلمات إلا لتعلم عزيز القارئ أن البيوت لابد وأن تبنى على حب الله وطاعته أولاً ، قبل أى شيء ثم يأتى بعدها طاعة الزوج لزوجته والزوجة لزوجها ، لأن الطاعة ستقودنا للبناء وترك كل المنكرات من مآثم يمكن أن تقضى على حياة الأفراد والأسر .

وهناك بعض المفاسد تتمثل فى التليفزيون وما يؤثر به على الأسرة من آثار سيئة تكون السبب الأساسى فى فشل البيت كما سنرى فى هذا البحث ، وكذلك التبرج الذى تعيش فيه الأسرة سواء الزوجة أو الإبنه أو الأخت وغير هذا من أسباب عديدة سوف نتناولها إن شاء الله بالشرح لعلها تكون تذكرة لنا جميعاً ومنارة تجعلنا نسلك مسالك الهدى والحق والخير لنحيا حاية سعيدة ويكون لنا فى الدنيا حسنه وفى الآخرة حسنة إن شاء الله .

أولاً : حق الزوج على زوجته :

فقد عظم الله الرجل ورفع الإسلام من شأنه ، ولابد لكل امرأة أن تعلم ذلك ، فبما أن الله جعل شهادة امرأتين برجل واحد وجعل الرجال قوّامون على النساء فلابد للمرأة أن تؤمن بهذا وترضاه حتى تعيش حياة سعيدة واثقة من مكانة هذا القائد الذى لابد أن يكون له الرأى الأرجح فى قيادة البيت بما أمر الله سبحانه وتعالى .

فعن حصين بن محصن قال : حدثتني عمتي قالت : أتيت رسول الله ﷺ فقال : « أي هـذه ! أذات بعل؟ » قالت : نعم ، قال : كيف أنت له ؟ قالت : ما آلوه [1] إلا ما عجزت عنه ، قال : « فانظري أين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك » [2] .

وكذلك قال رسول الله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد ولو كان أحد ينبغي له أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ما عظم الله عليها من حقه » [3] .

وفي رواية أخرى « والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله ، حتى لو سألها نفسها وهي على قتب [4] لم تمنعه » [5] .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً : « لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل [6] يوشك أن يفارقك إلينا » [7] .

١ – طاعة الزوجة لزوجها في غير معصية :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « إذا صلت المرأة خمس وصامت

---

(١) ما آلوه : أي لا أقصر في خدمته وطاعته .
(٢) قال المنذر : رواه أحمد والنسائي بإسنادين جيدين في الألباني صحيح « آداب الزفاف ٢٧٥ » .
(٣) رواه ابن حبان وحسنه الألباني في إرواء الغليل « رقم ١٩٩٨ » .
(٤) رواه أحمد وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع « ٦٩١٥ » .
(٥) قتب : ظهر البعير .
(٦) دخيل : الضيف والنزيل .
(٧) رواه الترمذي حسن ، والألباني صحيح .

شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها : ادخلي الجنة من أى أبواب الجنة شئت » [1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [2] :

فالمرأة عن زوجها تشبه الرقيق والأسير ، فليس لها أن تخرج من منزله إلا بإذنه سواء أمرها أبوها أو أمها أو غير أبويها باتفاق الأئمة .

ويقول الشيخ / عبد العال الجابرى [3] :

وما من امرأة نبذت طاعة زوجها إلا صلّ بها الشقاء ولحقها البلاء ، وكلما زادت طاعة الزوجة لزوجها ازداد الحب والولاء بينهما وتوارثته الأبناء ، لأن الأخلاق المألوفة إذا مكنت صارت ملكات موروثة يأخذها البنون عن أبائهم والبنات عن أمهاتهم .

وأقول لكِ عزيزتي القارئة : أنه إذا كان الرجل ديكتاتورياً ويمنعك من الذهاب إلى زيارة والديك أو أن تَصلي رحمكِ ، فما عليك إلا الهدوء والصبر والمحايلة له ... كما فعلت شهر زاد مع شهريار فى الأساطير العربية القديمة .

فإن كانت هذه القصة ليست حقيقية وخيالية إلا أنها تُعلِّم المرأة درس جميل ومهم جداً ... ألا وهو كيف أن المرأة يمكن لها أن تروض قاتل متمرد بالحكمة والعقل الراجح الذى لم يكن لغيرها من النساء فى هدوء أخلاق شهر زاد وحَلمُها عليه ومحاولتِها أولاً أن تدخل فى أعماق عقله وتحكى له القصص التى تشبع غرور شهريار ... ما استطاعت أن تدخل إلى قلبه وتروضه لطاعتها

---

(١) رواه ابن حبان وحسنه الألبانى ، صحيح .
(٢) مجموعة الفتاوى : « ٢٦٣/٣٢ »
(٣) المرأة فى التصور الإسلامى ص « ٩٣ » .

كيفما شاءت هى .

فالمرأة لابد أن تفهم زوجها أولاً ، تحاول أن تعالج مشكلاتها معه بحكمه وصبر حتى تجد فى طاعته شيء من اللذة والسعادة كما أنه إذا فكرت المرأة فى إرضاء ربها والتوصل إلى حبه لوجدت فى طاعة زوجها منتهى الحب والتفانى .

٢ - لايدخل أحداً إلى بيته إلا بإذنه :

فلا يمكن للمرأة أن تأذن لأحد بدخول البيت سواء نساء أو أقارب أو أى أحد إلا بعد إذن زوجها .

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه » [(١)] .

٣ - أن تحفظ ماله وأولاده :

وجزء من الحديث الصحيح المتفق عليه « ... والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ... » .

فالحياة الزوجية شركة يقودها شريكين يتق الله كل منهما فى الآخر ، فالشريك الذى يتطلب منه العمل خارج البيت فلابد أن يحفظه شريكه الآخر داخل البيت ... يحفظه فى ماله فلا يبذر فى هذا المال .. لأنه أمانه ، وكذلك الأولاد أمانة وهى راعية عليهم ... فلتؤدى المرأة الأمانة بشكل يرضى الله عنها ويعطيها الجزاء إن شاء الله .

فيجب عليها ألا تطالبه بما وراء الحاجة وما هو فوق طاقته ، فإن ذلك يرهقه من أمرِه عُسراً ، بل يجب أن تتحلى بالقناعة والرضى بما قسم الله لها

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

من الخير وألا تتطلع إلى الدنيا بالحد الذى تضيق فيه عليه وينشغل به عن آخرته ، فقد كان من أدب نساء السلف رضى الله عنهم ، إذ خرج الرجل من منزلة أن تقول له امرأته أو ابنته « إياك وكسب الحرام فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار » [1] .

٤ ـ حفظه فى دينه وعرضه [2] :

وذلك يبعدها عن التبرج والتعرض للأجانب فى البيت وخارجه فى الشرفة أو على الباب أو فى الطريق أو أماكن الإختلاط الأخرى ، فعنه ﷺ أنه قال : « خير نساءكم الودود ، المواتية المواسى ، إذا اتقين الله ، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات ، لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم» [3] .

والغراب الأعصم : هو آخر المنقار والرجلين وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من النساء ، لأن هذا الوصف فى الغربان قليل ، وعن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « أيما امرأة نزعت ثيابها فى غير بيتها خرق الله عز وجل عنها ستره » [4] .

٥ ـ أن تبر أهل زوجها من والديه وأخواته :

يقول الشيخ الجابرى [5] : الزوج فلذة كبد أمه وهو أمانة أمه فى يد زوجته فوجب أن تتلطف بصاحبه الأمانة ، وتجعلها دائماً مطمئنة على أنها لن تفقد أمانتها وذلك يكون بالتودد إلى هذه الأم وإظهار الاحترام لها

---

(١) المرأة فى التصور الإسلامى نقلاً عن .
(٢) صورة البيت المسلم ، الشيخ / عصام محمد الشريف .
(٣) أخرجه البيهقى وقواه الألبانى بشواهد « الصحيحة ١٨٤٩ » .
(٤) رواه الطبرانى وأحمد وغيرهما وصححه الألبانى « صحيح الجامع ٢/٣٩٣ » .
(٥) مرجع سابق .

باعتبارها أماً للزوج .

قال ﷺ : « إن من البر أن يحفظ الرجل أهله ود أبيه » [1] .

٦ - التزين للزوج :

يقول الشيخ الجابرى : ومن الأسف أن نرى كثيرات من السيدات يهملن الزينة والتجمل ، وهذا تقصير فاحش ، ربما كانت الزوجة لا تعتريه لاعتقادها ارتفاع الكلفة بينهما ، ولكن له تأثيراً سيئاً فى نفس الزوج ولا سيما إذا آنس منها التجمل والزينة قبيل خروجها لزيارة قريباتها وصديقاتها .

ويقول الأستاذ على فكرى : وما أرقى خلال المرأة إذا أحست بحضور زوجها فهبت للقائه بأبهى مظاهرها من نظاة ثياب وطلاقة وجه وبسامة ثغر ، لأنه ما من إمرأة-قابلت على هذا الوجه إلا حازت فى قلبه المكانة العالية والمنزلة السامية [2] .

وقد أوصت امرأة ابنتها فقالت : يا بنيتى لاتنس نظافة بدنك فإن نظافته تحبب زوجك إليك .

وقال البرقوقى : جمال المرأة وتجملها مدرجه [3] ميل الرجل وافتتانه بها ، وقوام الزينة النظافة ، ولتحذر المرأة كل الحذر أن يقع بصر الرجل منها - أعنى زوجها - على شىء يشمئز منه وينفر ، من شعث أو رائحة مستكرهة أو شىء من هذا القبيل ، وكذلك فيجب على الأخت المسلمة أن تتجمل لزوجها ماوسعها ذلك بتنظيف الثياب ، وتنظيف البدن ، وتنظيف البشرة ، وكذلك

---

(١) رواه مسلم .
(٢) مرجع سابق .
(٣) مدرجه : طريق .

العناية بنظافة الأسنان وبتسويكها وتخليلها ، وبتنقيـة العين وتكحيلها ، وتقليم الأظافر وتسويتها .

٧ - ألا تفشى سره :

ألا تفشى أو تخبر عن عيوبه الخفية أو تنشر ما يكون بينهما حال الوقاع لقـوله ﷺ : « **إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه** » [(١)] .

والله المستعان أن نفهم جميعاً هذه الحقوق التى تجعل منا مثاليات داخل بيوتنا ، ويؤجرنا الثواب من الله سبحانه وتعالى طمعاً أن يرحمنا جميعاً إن شاء الله.

ثانياً : حق الزوجه على زوجها :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خُلقت من ضلع وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء** » [(٢)] .

ويقول الرسول الكريم « استوصوا بالنساء » أى فاعرفوا ذلك ، استوصوا بهن « خيراً » بالصبر على ما يقع منهن وفيه رمزاً إلى التقويم برفق بحيث لا يبالغ فيه فيكسر ولا يتركه فيستمر على عوجه والمرأة وإن كان فيها عوج إلا أن الرجل فيه ظلم وجهل فهو أصلها لأنها خُلقت من ضلع فينبغى عليه أن يستمتع بها على عوجها ، وطلب الولد الصالح والإعفاف وإلا قسوة العشرة مع اعوجاجها تنشأ عنها المخالفة بها ويقع الشقاق وهو سبب الخلع » [(٣)] .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) متفق عليه .
(٣) وعاشروهن بالمعروف ، الشيخ / سعيد عبد العظيم ، ص « ١٥ » .

وعن عمرو بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وتعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال : « ألا واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنما هن عوان [1] عندكم ليس تملكون فيهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً [2] ألا إن لكم على نسائكم حقاً ونسائكم عليكم حقاً فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكن من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن فيكم أن تحسنوا إليهن في كسرتهن وطعامهن » [3] .

١ – النفقة والمسكن [4] :

والنفقة تشمل الطعام والشراب والملبس ، وما تحتاج إليه الزوجة لقوام بدنها وقوته ، وينبغي أن يطعمها وأولادها حلالاً لا إثماً فيه ولا شبهة .

قال تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَ ﴾ [5] .

وقال ﷺ : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » [6] .

فالرجل هو المسئول عن النفقة في البيت ، وليس من حقه أن يلزم زوجته بالنفقة إلا إذا تبرعت مساهمة في تحمل بعض العبء .

---

(١) عوان : أسيرات .
(٢) أي لا تطلبوا طريقاً تحتجون به عليهن وتؤذونهن به .
(٣) رواه الترمذي وهو صحيح .
(٤) صورة البيت المسلم ، مرجع سابق .
(٥) سورة الطلاق الآية « ٧ » .
(٦) رواه أبو داود والحاكم وحسنه الألباني وصحيح .

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أعطى الله أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهل بيته » [1] .

ويجب لها مسكن بدليل قوله تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ [2] ﴾ [3] .

٢ - المعاشرة بالمعروف [4] :

لقوله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [5] .

١ - أن يتحبب إليها ويناديها بأحد الأسماء إليها .

٢ - أن يكرمها فيما يرضيها ومن ذلك أن يكرمها فى أهلها عن طريق الثناء عليهم أمام زوجته ومبادلتهم الزيارات ودعوتهم فى المناسبات .

٣ - كذلك أن يسمع حديثها ويحترم رأيها ويأخذ بشوراها إذا أشارت عليه برأى صواب ، قال ﷺ : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » [6] .

٤ - من المعشرة بالمعروف كذلك القيام على تعليم الزوجة ، روت الشفاء بنت عبد الله قالت : « دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال لى : « ألا تعلمينى هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة » [7] .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) الوجد : السعة والمقدرة .
(٣) سورة الطلاق الآية « ٦ » .
(٤) صورة البيت المسلم « مرجع سابق » .
(٥) سورة النساء الآية « ١٩ » .
(٦) رواه ابن حبان وابن ماجه « وهو صحيح » .
(٧) رواه أحمد وأبى داوود .

ويقول النبى ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى حيتان البحر »[1] .

وقد أثنى النبى ﷺ على نساء الأنصار بالتفقة فى دين الله فقال : « نعم النساء نساء الأنصار ، لمن يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين »[2] .

والمرأة الآن متعلمة ومتفتحة فكثير من النساء واصلن تعليمهن وحصلن على الدكتوراه باجتهاد وجد ، ورغم ذلك فهى جاهلة فى الدين إلا من رحم ربى ... لماذا اجتهدت المرأة وحصلت على البكالوريوس فى الطب أو الهندسة أو الآداب ولا تستطيع أن تبذل نصف أو ربع هذا الجهد لتَعلُّم دينها وما أمرها به الله ، فالجهل بالدين هو سبب كل معصية وما عصى الله بمعصية أعظم من الجهل بالدين ، فعلى الرجل حث المرأة على تَعلُّم دين الله ومساعدتها على ذلك سواء فى حفظ القرآن أو الحديث أو الفقه أو التفسير ، عسى الله سبحانه وتعالى يجزيه عنها بالثواب العظيم .

كثرة التلويح والتهديد بالطلاق :

وهذا لون من سوء معاشرة الزوجات فعندما تسمع المرأة كلمة الطلاق على لسان زوجها بلا سبب موجب يهون عليها الأمر وتستشعر عدم الأمان ، بل وفى لحظات الطيش والانفعال قد تستفز زوجها لإيقاع الطلاق عليها ، الأمر الذى تتخرب بسببه البيوت والأُسر ويكون سبباً لضياع الأولاد .

وقد سئل الشيخ بن باز – رحمه الله – فقيل له : يكثر عندنا الحلف بالطلاق والحرام ، فما الحكم فى ذلك ؟ .

---

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه البخارى .

فأجاب بقوله :

أما الحلف بالطلاق فهو مكروه لا ينبغى فعله لأنه وسيلة إلى فراق الأهل – عند بعض أهل العلم – ولأن الطلاق أبغض الحال إلى الله فينبغى للمسلم حفظ لسانه من ذلك إلا عند الحاجة إلى الطلاق والعزم عليه فى غير حال الغضب والأولى الاكتفا باليمين بالله سبحانه إذا أحب الإنسان أن يؤكد على أمر من أصحابه أو ضويفه للنزول عنده للضيافة أو غيرها .

أما فى حالة الغضب فينبغى له أن يتعوذ بالله من الشيطان وأن يحفظ لسانه وجوارحه عما لا ينبغى .

أما التحريم فلا يجوز ، سواء كان بصيغة اليمين أو غيرها لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ (١) ، ولأنه ليس للمسلم أن يحرم ما أحل الله له ، أعاذ الله الجميع من نزعات الشيطان .

والزواج فى شريعتنا ليس زواجاً كاثوليكياً بحيث يجبر الإنسان على معاشرة من يبغض ويكره ولا يحدث الطلاق إلا إذا اتهم الرجل زوجته بالزنا بهتاناً حتى يسمح له بفراقها .

وفى ذات الوقت يجب علينا أن نتق الله فى هذه الرابطة وهذا الميثاق العظيم (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (٣) .

هذا العهد والميثاق بين الرجل والمرأة فلا ينبغى الاخلال بها والتهوين من

---

(١) سورة التحريم الآية « ١ » .
(٢) انظر كتاب « وعاشروهن بالمعروف » الشيخ / سعيد عبد العظيم .
(٣) سورة النساء الآية « ٢١ » .

شأنها ، وكل أمر من شأنه أن يوهن ويضعف من هذه الصلة فهو بغيض إلى الإسلام ولذلك يقول النبى ﷺ : « ليس منا من خبب – أفسد امرأة على زوجها – » [(١)] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لا تسأل المرأة طلاق أختها لتسترغ صفحتها** » أى لتحل عصمة أختها من الزواج لتحظى بزوجها » **ولها أن تتزوج زوجاً آخر** » [(٢)] .

وعن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال : « **أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس حرام عليها رائحة الجنة** » [(٣)] .

وياليت أن يكون آخر الحلول هو الطلاق حفاظاً على أولادنا وحفاظاً على المجتمع الإسلامى ، فلابد لكل رجل أن يتق الله فى بيته وأولاده ، ولابد لكل امرأة أن تتق الله فى بيتها وأولادها من أجل أن تَنشيء لبنة مسلمة سليمة لا تعانى من الحرمان الأسرى ولا تعانى من التفكك العاطفى .

فمهما كانت التنازلات فالطريق السليم هو الصبر على البلاء .

٣- الإستئذان على الزوجة :

أورد الإمام ابن كثير عن زينب إمرأة عبد الله بن مسعود رضى الله عنها قالت : « كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبذق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه .

وقال النبى ﷺ لجابر حين قدم معه من سفر : « إذا دخلت ليلاً فلا تدخل

---

(١) رواه أبو داود والنسائى .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه أصحاب السُنن وحسنه الترمذى .

على أهلك حتى تستجد المغيبة وتمتشط الشعثة » [1] .

وحتى لا يطلع الرجل على ما يكون سبباً لنفرته منها ، فلابد أن يستأذن عليها في الدخول لتتزين لمجيئة .

٤ - أن يغار عليها :

أن يغار عليها ولكن في حدود الاعتدال وهو أن يتغافل عن الأمور التى تخشى عواقبها وإذا أهملت تعسر علاجها فإذا رأى منها تقصيراً فى واجب نبهها أو ميلاً إلى سوء حذرها ، أو تلبساً بمنكر نهاها لأن اعتيادها هذه الأشياء وسكوته عليها قد يؤدى إلى استمرارها في المنكر فيصبح لها خلقاً ويصعب علاجه بعد ذلك .

فإن يسكت يسكت على عظيم ، وأن ينكر فإنما يحاول الشقاق والقطيعة فلابد من الوقاية قبل العلاج وتوقف الداء قبل سريانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [2] .

ويجب أن تكون الغيرة محدودة فلا يبالغ فى إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى الرسول ﷺ أن « تتبع عورات النساء » [3] .

ومعنى الغيرة هو تغير القلب وهيجان الغضب له إرادة الانتقام وأشدها ما كان بين الزوجين وهى محدودة ومندوب إليها لأنها من أخلاق الله ، وفى الحديث تخلقوا بأخلاق الله تعالى ، فالله سبحانه وتعالى يغار من فعل الحرام ، والمؤمن يغار على الدين والأهل والعشيرة [4] .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) سورة التحريم الآية « ٦ » .
(٣) رواه الطبرانى .
(٤) انظر التارج الجامع للأصول « ٣٣١/٢ » .

٥ – المشاركة فى الرأى :

فالمرأة شريك مهم فى حياة الرجل وعليه دائماً أن يناقش زوجته ويشاورها وأن يأخذ برأيها إن كان سليماً واضحاً ويعتبر الرجل كثيراً بطاعته لامرأته ومتابعته لها ، بل وينظر إليه بعين النقص ومن هنا يتباهى البعض الآخر بإنفاذ قوله حتى وإن كان خطأ وباطلاً ويستنكف عن قبوله ما تقوله زوجته وإن كان حقاً .

ومعلوم أن النبى ﷺ أخذ برأى السيدة أم سلمة رضى الله عنها يوم الحديبية فكان فى ذلك الخير الكثير وسرعان ما استجاب الصحابة فامتثلوا بعد التباطؤ فالحق يجب أن يقبل من كل من جاء به كائناً من كان ، رجل أو امرأة والباطل ينبغى أن يرد على صاحبه أيضاً كائناً من كان .

والمذموم هو طاعته لزوجته فى معصية الله والمشى على هواها .

٦ – شرط الزوجة على زوجها ألا يتزوج عليها عند العقد [١] :

عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : « أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج » [٢] .

فلو اشترطت المرأة على زوجها ألا يتزوج عليها بأخرى عند العقد لذمة الوفاء بالشرط ، فإذا لم يفِ لها فسخ النكاح ، ولأن هذا الشرط من مقتضيات العقد ومقاصده ولم يتضمن تقييداً لحكم الله ورسوله وشأنه فى ذلك كشأن اشتراط العشرة بالمعروف والإنفاق عليها وكسوتها وسكناها بالمعروف وأنه لا

---

(١) وعاشروهن بالمعروف « مرجع سابق » .
(٢) رواه مسلم والبخارى .

يقصر فى شىء من حقوقها ، كل هذه الشروط يجب الوفاء بها ولقول النبى ﷺ : فيما صح عنه « المسلمون على شروطهم » .

وعن عبد الله بن أبى مليكه أن المسور بن مخرمة حدثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحو ابنتهم من عليّ بن أبى طالب فلا آذن لهم ، ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، فإن ابنتي بضعة منى يريبنى ما آرابها ويؤذينى ما آذاها » [1] .

قال ابن القيم الجوزى : يتضمن هذا الحكم أموراً أن الرجل إذا اشترط لزوجته أن لا يتزوج عليها لذمة الوفاء بالشرط ومتى تزوج عليها فلها الفسخ ، ووجه الحديث بذلك أنه ﷺ أخبر أنه أذى يؤذى فاطمة رضى الله عنها ، ويريبها وأنه يؤذيه ويريبه ومعلوم قطعاً أنه ﷺ زوجه فاطمة رضى الله عنها على ألا يؤذيها ولا يريبها ولا يؤذى أباها ﷺ .

وإن هذا لم يكن مشروطاً فى صلب العقد وإنما دخل عليها وفى ذكره ﷺ صهره الآخر وثنائه عليه بأنه حدثه فصدقه ووعده ، فيؤخذ من هذا أن المشروط عرفاً كالمشروط لفظاً وأن عدمه يملك الفسخ لمشترطه .

٧ – مداعبتها وملاطفتها :

لأن ذلك يزرع الحب فى القلب ويؤدى حق تمتع النفس باللهو البرىء الذى يروح عنها كآبتها وحزنها .

وكان ﷺ يمزح مع أزواجه وينزل معهن إلى درجات عقولهن فى الأعمال

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

والأخلاق ، وهو من هو عليه الصلاة والسلام .

فقد روى عنه ﷺ أنه كان يسابق السيدة عائشة رضى الله عنها فى العدو فسبقته يوماً وسبقها فى بعض الأيام ، فقال ﷺ : « هذه بتلك »[1] ، وكان من أفكه الناس مع نسائه .

واجبات مشتركة :

١ - تربية الأولاد :

تربية الأولاد لا يمكن أن يوكل الرجل زوجته فى تربية أولاده طالما هو موجود على ظهر الدنيا لأن تربية الأولاد مسئولية مشتركة بين الوالدين على السواء ، فالأطفال يحتاجون من الأم الحب والحنان والإرشاد والنصحية ، ويحتاجون من الأب الحزم والشدة ... حتى الأولاد حينما يكبرون يحتاجون إلى ذلك أيضاً ولكن بشكل يختلف نوعاً ما .

ويقول الدكتور / محمد الصباغ - حفظه الله - :

« إن كثير من الآباء يشغلون عن أولادهم بأمور عامة ويحسبون أنهم بذلك يقومون بخدمة جليلة للأسرة ، وإن أحق الناس بتوجهيك هم أولادك وزوجك الذين معهم تعيش ، وبهم تُعرف ، وشرهم وخيرهم مقتدون بك ، وقد تضطرك الأيام إلى أن تكون بحاجة إلى برهم ورعايتهم وقد يفيدك أن تحظى دعوة من أحدهم تخفف عنك ما أنت فيه من الضيق والكرب بعد موتك أو تزيدك من الخير فى آخرتك ، والأهم هو تربيتهم على الدين والشريعة الإسلامية الصحيحة التي تساعدنا على تفادى كوارث هذه الأيام الصعبة ... التى تحتاج من الشاب

---

(١) رواه أبو داوود والنسائى وابن ماجه فى حديث عائشة .

والفتاة تدين وعلم واعى بأمور الحلال والحرام حتى يستطيعون المرور من فوق جسر الشهوات والفتن بسلام ، فالفتن تحيط بهم من جميع الجوانب ولن يستطيعوا تفاديها إلا بتربية إسلامية صحيحة قبل فوات الأوان .

من أجل ذلك أود أن أقترح ما يلى :

١ – لابد من أن تخصصهم بجلسة أسبوعية على أقل تقدير وإن استطعت أن تكون فى مدة أقل كان أحسن .

٢ – إقامة حلقات للأولاد يتولاها ناس ظلهم خفيف ودينهم جيد وحياتهم مشرفة ، وإن كان مستوياتها مختلفة الإبتدائى والإعدادى والثانوى والجامعى فهو أفضل « فالمرء على دين خليله » .

هذه أمور بأيدينا نحن فلنتق الله فيها ، ولنصلح الفساد ، ولنحذر غرق المتع ، إن الأسرة هى القلعة الأخيرة التى ينبغى أن تقف حياتنا وإمكانياتنا لحمايتها وحفظها وإنا لمسئولون » [1] .

٢ – حل الخلافات بعيداً :

جعل الخلاف بين الزوجين بعيداً عن مسمع الأولاد ، أين كان عمرهم ، فلابد أن يحاول الزوجين أن يبتعدوا عن النقاش الحاد أمام الأولاد ومحاولة حل الأمور فى هدوء وحكمة .

٣ – المراقبة والمحاسبة الصحيحة :

مراقبة الأولاد فى سلوكهم وتصرفاتهم وحديثهن وهذا يرجع إلى الأم لأن الأم أدرى الناس بأولادها حتى لا يكونوا قد تعلموا شيئاً من أصدقائهن فى

---

(١) نظرات فى الأسرة المسلمة ، بتصرف .

الشارع أو فى المدرسة .

مراقبة البنات وصديقاتهن وكثرة نزولهن للزيارات والمناسبات ، إلى من تذهب ؟ وإلى أى مكان تذهب ؟ ومع من ؟ وهكذا .

وإلزام البنت المسلمة بالحجاب الشرعي وسترها لتجنب الأخطاء الفاحشة ، فلا بد من يقظة داخل البيت على الأقل تواكب تلك المؤمرات التى تحاك فى البيوت المسلمة ، قال الشاعر :

مـؤامـرة تدور على الشـبـاب ... ليعرض عن معانقة الحراب

مــؤامــرة تدور فى كل بيت ... لتجعله راكـماً من تراب [1]

(١) صورة البيت المسلم « مرجع سابق » .

أهم العقبات التي تواجه الأسرة المسلمة

أولاً : حب الدنيا [1] :

من أخطر العقبات التي تواجه البيت المسلم « الدنيا » حين ينظر إليها أفراد البيت المسلم نظرة حب وعشق وأمل حتى يخروا صاغرين ، ولذلك فإن الإسلام بين لكل مسلم النظرة الصحيحة للدنيا بحيث لا يعيش لها ولا ينصرف عنها ، بل ينظر إليها بلا إفراط أو تفريط ، ووضع لذلك قواعد وأُسساً هي :

أولاً : بيّن للمسلم مقام الدنيا من الآخرة ومدى صغارها وتفاهتها عند الله حفاظاً عليه من فتنتها وغوايتها ، قال تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) ﴾ [2] .

وقال ﷺ : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها الكافر شربة ماء » [3] .

ثانياً : حذر الإسلام من أن تصبح الدنيا مبلغ التنافس بين الناس ، فقال ﷺ : « والله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » [4] .

---

(١) صورة البيت المسلم ، أ/ عصام بن محمد الشريف .
(٢) سورة الحديد الآية « ٢٠ » .
(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني « ٩٣٧/٢ » .
(٤) متفق عليه .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [(١)] .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ [(٢)] .

ثالثاً : حذر الإسلام من أن يطغى حب الدنيا على القلوب فيشغلها عن التزود لآخرتهما ، فحض على الزهد فيها وتخليص النفس من أسرها .

قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ [(٣)] .

وقال ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » [(٤)] .

وسئل الإمام أحمد رحمه الله : هل يكون المرء زاهداً ومعه ألف دينار ؟ .

قال : نعم ، قيل : وما آية ذلك ؟ .

قال : آيته أنه إذا زادت لا يفرح ، وإذا نقصت لا يحزن .

رابعاً : حض الإسلام على أن يكون الهدف من عمارة الدنيا والعمل فيها ، إقامة الخير وتحقيق العدل واتباع الحق .

قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ

---

(١) سورة الزخرف الآية « ٣٥ » .
(٢) سورة النجم الآيات « ٢٩ ، ٣٠ » .
(٣) سورة آل عمران الآية « ١٤ » .
(٤) رواه مسلم .

مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦) ﴾ [١] .

ثانياً : مشكلات الحياة اليومية من الاختلاط والتبرج وأعباء أخرى [٢] :

إذ أن الرجل كثيراً ما يثيره فى البيت ما يعانيه خارج بيته فهو يحاول عند رجوعه إليه أن يسترد كيانه المسلوب ويسترجع كرامته المهانة .

إنه يريد أن يشعر بوجوده ويحس بكيانه الذى يطفى عليه رئيس العمل أو المصلحة ، والحق المهمل أو المضيع ، والأجر الزهيد الذى يتقلص أمام تزايد تكاليف المعيشة ارتفاعاً وإرهاقاً ، والضغوط الكثيرة التى تواجهه .

كل هذا وغيره كثير يجعل الأزواج يضيقون ذرعاً بالحياة ويتبرمون بهاه وبمسؤلياتها حتى لا يكاد صدر أحدهم يتسع لخلق زوجته ومطالبها ولا يجد مخرجاً من محنته وبلائه لأن فرّ من المجتمع ، حتى فى بيته وعند شريكه حياته وسر سعادته ، فضلاً عن أن الرجل والمرأة كليهما يعايشان التقاليد المكتسبه يومياً التى وفدت إلينا من الغرب وفى مقدمتها الاختلاط الذى قرب من الرجل كل امرأة وأدنى من المرأة كل رجل .

فكيف نرجو للأسرة استقراراً فى الحياة العائلية وسلاماً وأماناً مع هذا الانحراف الاجتماعى الخطير الذى يسيره شياطين الأنس والجن فى طول البلاد وعرضها ، التقاليد التى أبرزت فى مجتمعنا تلك المرأة التى كفرت بالأسرة وآمنت بالشارع والطريق وقوارع الأرصفة والتى تقف الساعة والساعتين وأكثر

---

(١) سورة هود الآيات « ١٥ ، ١٦ » .
(٢) « الطلاق تاريخياً وتشريعاً وواقع » ، خاشع حقى .

أمام مرآتها وتجلس مثل ذلك عند حلاقها لا لكي تقف رجلها الوحيد وزوجها المبتلى بها بل لتحارب بذلك عفة جميع الرجال .

المرأة التي تعمد بفتنتها وأريجها إلى المتزوج تفسده على سيدة بيته إذ تعرض عليه كل الوقت زينة لا تسمح أعباء البيت بمثلها لزوجته ، وتسول له التفريط ببيته ليأتي الغافلون والمتغافلون ويقولوا : إنها قسوة الشريعة وبلاء الطلاق .

وإذا ساد الاختلاف من البروتوكولات التي لها أحزابها ومجالاتها أساس دخل المجتمع .

وإذا زال عن المرأة المسلمة الحجاب ، وإذا سلب الرجل حق الطلاق وإذا تركت المرأة المسلمة معلقة ... وإذا زوجت البنت نفسها ، وإذا تخلت الأسرة عن أبنائها لتتركهم ضائعين دون رقيب ، ماذا يكون الفارق بينها وبين الأسرة الغربية ؟ وماهي السمات الإسلامية التي تبقى لها ... ؟!! .

ثالثاً : التليفزيون [1] :

قطاع كبير من الناس لا يتصور الحياة بغير التليفزيون فقد صار شيئاً أساسياً في حياة الكبير والصغير والرجل والمرأة ، والمتعلم والأمي ، يجدون فيه متعتهم وتسليتهم وراحتهم ، ومن افتقد ثمنه قد يستدين ليشتريه ، وتثور المشاكل بين الفقير وزوجته وأولاده ، ولا تهدأ الأحوال حتى يتحصل عليه رب الأسرة ، وقد يطالعون برامجه وأفلامه عند الأقارب والجيران وفي نادي القرية ، ولك أن تتخيل ما الذي يمكن أن يحدثه ٦ ملايين جهاز تليفزيون في حياة

---

(١) خطورة التليفزيون « الشيخ / سعيد عبد العظيم » .

شعب كهذا من آثار عقائدية وخُلقية ونفسيه واقتصادية ... وخصوصاً مع إدمانه وعدم استطاعة الكثيرين الانصراف عن مشاهدته من جهة ، وحرص القائمين على التليفزيون على جذبهم من جهة أخرى ، حتى أقسم رئيس قطاع الإنتاج بالتليفزيون عندنا ، بأنه لن يجعل الناس ينصرفون من أمام الجهاز طوال شهر رمضان !!! .

وقد امتدت ساعات الإرسال إلى ٢٤ ساعة أى على مدار اليوم كله من الممكن أن تشاهد أفلاماً ومسرحيات وتمثيليات ورقصات ونستمتع بالأغانى والموسيقى ... ولذلك بعد أن كان الفلاح البسيط يستيقظ قبل صلاة الفجر يدعو ربه ويؤدى فرضة يتعاهد أرضه صار لا يستيقظ إلا ظهراً ، لسهره أمام الشاشة الصغيرة .

إنه نوع جديد من الإدمان تخوفه بطل فيلم الفك المفترس على أولاده ، فأزال الجهاز من منزله ، لما رأى إدمانهم لبرامج العنف وقد تعالت الصحيات فى الغرب قبل الشرق تقول إن التليفزيون يشاركنا فى تربية أولادنا ، ولم يعد للآداب الأثر الكافى .

وفى ألمانيا قامت مدرسة بأخذ الإقرارات على أولياء الأمور بعدم نظر التلاميذ للتليفزيون بعد العودة ولا يخفى على أحد أن أمتنا مستهدفة ودينا يحارب والأعداء يتربصون الدوائر ويكيدون لنا بكل سبيل ، ومن أخطر هذه الوسائل : الإعلام ، ومن أعظم صورة خطورة التليفزون الذى دخل معظم البيوت ، ذلك الجهاز الخطير العظيم الأثر ، والذى فاق الإذاعة تأثيراً حيث تجمع فيه حواس السمع والبصر من خلال الإثارة بالحركات والصور وقد اشتدت خطورة التليفزيون مع وجود البث المباشرة عبر القنوات الفضائية المختلفة .

أخطار التليفزيون :

سلبيات هذا الجهازكثيرة جداً ، وقد أجريت دراسة على عدد من الشباب اللبنانى من الذكور والإناث تتراوح أعمالهم بين ١١ – ٣٨ سنة فأكدت على أن التليفزيون يؤدى إلى :

إنتشار الجريمة والعنف – شيوع الرذيلة – شيوع أساليب النصب والاحتيال – أنشغال المُشاهد عن القراءة – السلبية والتراضى وتقييد حركة الجسم وضعف البصر ، فأنتج هذا الجهاز مجتمعات منحلة ، انتشر فيها شراب المسكرات والمخدرات وأشاعت فيها الفاحشة والرذيلة ، وقد نشرت مجلة التايم [Time] فى أحد أعدادها ، قصص العديد من الفتيات أعمار ١٣ – ١٩ سنة حوامل من السفاح ، ومنهن من لديها ثلاثة أولاد أو أربعة كلهم أولاد زنا ، وكانت المقالة بعنوان : « أولاد لديهم أولا . أ . هـ » [١] .

الإنترنت غابة مملؤة بالأخطار [٢] :

يقول بعض الأباء أن شبكة الإنترنت تعتبر غابة مملوءة بالأخطار بالنسبة لأطفالهم ، وفى الوقت نفسه يحذر الخبراء من أن حرمان الأطفال من استخدام الشبكة يجعلهم منفصلين عن المستقبل ! ، وحلاً لهذه المشكلة اقترحت خبيرة إعلامية فى ندوة عقدت بنيويورك أن يقول الآباء بترشيح المعلومات التى تذاع على الانترنت ، من خلال برامج معينة تمنع ظهور المواد غير المرغوب فيها ، مثل الصور والمشاهد الإباحية ، ودعايات الجماعات العنصرية والمتعصبة ، والإعلانات التى تهدم قيم الأطفال ونفوسهم .

---

(١) المرجع السباق .
(٢) الأهرام بتاريخ ١٩٩٨/١٠/٢٤ ، العدد ٤٠٩٥٤ ، السنة ١٢٣ .

وقدمت الخبيرة الأميريكية نصيحتين أخريين للآباء الأولى : تجنب وضع جهاز استقبال شبكة الإنترنت في غرفة الطفل ، ووضعه في مكان مفتوح بالبيت لمراقبة طريقة استخدام الطفل للشبكة ، وما يفضله من مواد عليها . والنصيحة الثانية : التنبية على الطفل بألا يقدم أى شخص - عبر الشبكة - معلومات شخصية عنه مثل عنوان المنزل ورقم الهاتف .

أفلام الرعب أكثر خطراً [1] :

أثبتت باحثة بجامعة ميتشجان الأمريكية أن التأثير السيء لأفلام الرعب في المشاهدين قد يستمر سنوات ، وأن هذه الأفلام أخطر بكثير مما هو معروف عنها في الحالة النفسية والشعورية لمن يشاهدها ، وأثبتت الدراسة التي أجرتها الباحثة على ١٥٠ طالباً جامعياً ، أن عدداً كبيراً من مشاهدى أفلام الرعب يتعرضون للكوابيس ، وأن بعضهم يعانى حالة أرق قد تستمر عدة أشهر ، وقال ثلث الطلاب الذين أجريت عليهم الدراسة إنهم ظلوا ثلث آخر منهم أنهم عانوا تأثير الفيلم المرعب الذى شاهدوه لمدة تزيد على عام ، وقال أحد الطلاب : إنه عانى كوابيس بها مشاهدة دموية لمدة شهرين بعد مشاهدة فلم « الفك المفترس » وأنه لا يزال يخاف من رؤية الدماء حتى الآن .

وكان المعروف عن أفلام الرعب أن مشاهدتها تؤدى إلى الإصابة بالذعر عند سماع أصوات مثل غلق باب بعنف ، أو الخوف من النوم في الظلام .

ونحن لنسا ضد العلم والتقدم في شيء ، فكما يرى الغرب تقدمهم في كل ما يفسد علينا ديننا ، فلابد لنا أن نتمسك نحن به ، ونعمل على

---

(١) الأهرام بتاريخ ١٩٩٨/١٠/٢٤ ، العدد ٤٠٩٥٤ ، السنة ١٢٣) .

إعلاء كلمته ومظهره ، فلما لا يكون لنا برامجنا الدينية التي تنشر وتعلم إسلامنا وتحبب الكثير فى دخول الإسلام برامج شرعية تعلن عن دولة الإسلام بما فيه من آداب ونماذج لا يضاهيها أى عمل من أعمال الغرب فى شيء .

فلماذا دائماً نحن تابع وليس بمتبوع إلى متى ؟ إلى متى هذا التخاذل ؟ لماذا لا يكون الانترنت علم فقط يساعدنا على انتشار طبعنا الإسلامى بشكل فورى ، بعد اختصار المسافات والزمن ، فقد أصبحت كلماتك تصل حين تخرج من فمك ... فيا وسائل الإعلام المسلمة إعلنى عن نفسك واعملى من أجل رفع راية الإسلام ... ارفعى لغتنا العربية التى تكاد تندثر ... امحى هذه المصطلحات الدخيلة علينا بدلاً من اكتساب كل ما هو مدمر للغتنا الجميلة وانتشار العامية بشكل واسع وعميق .

فليكن لنا إعلامنا الخاص الذى يكون لنا وليس علينا ، كفانا استهتار وغربة ، ولنعد إلى مسارنا الصحيح الذى فيه صلاح الأمة وصلاح المجتمع .

الخاتمة

نسأل الله حسنها إذا بلغت الروح المنتهى

فى نهاية هذا البحث أشعر أننا نحتاج إلى المزيد والمزيد من التعاون الجماعى الذى ربما يساعد المسلمين على الخروج من هذه المحن التى يواجهها الإسلام وحيداً ، والخروج من هذه المحن والمصائب لن يأتى أبداً إلا إذا تمسكنا بأوامر الله عز وجل واتبعنا شريعته والتمسنا حكمة بين الناس ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [1] .

كذلك لابد أن نبتعد عن الظلم والجور الذى يقع فيه الإنسان دون أن يدرى ... لأن الله سبحانه وتعالى حرم الظلم بين العباد .

عن أبى ذر رضي الله عنه عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه جل شأنه قال : **« يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا ، ياعبادى كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم ، يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم ، ياعبادى كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسونى أكسكم ، يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم ، .... يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ، ياعبادى لو أن أولكم وأخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم**

---

(١) سورة الشورى الآية « ٣٠ » .

ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم قامـوا فى صعيد واحد تسألونى فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كمـا نقص المخيط إذا أدخل البـحـر ، يا عبـادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجـد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه [1] .

أخى المسلم :

يجب أن يكون هذا الحديث بمثابة المنار الذى يُضىء لك الطريق الصحيح والواجه التى يجب أن نكون عليها ، منار اشارته الضوئية تبعث إليك تنبيه ألا تظلم زوجتك التى شاركتك رحلة الحياة .... وفرحت لفرحك ... وعاشت معك طريق العمر بكل ما يحويه من سعادة وشقاء وأفراح وأحزان دون شكوى أو بكاء ، فلماذا تتخلى عنها ؟ هل لأن بها بعض الأخطاء أو العيوب أو حتى سوء الطباع ؟ فتذكر لها شيئاً يبعث فى حياتك أمل جديد ، يجدد ذكرى جميلة تجعلكُ تتحمل هذه الأخطاء وتتنازل عن العيوب وتغير سوء الطباع ، فمن منا كامل أو حتى يرى عيوبه ، فالصبر والاحتساب ، أفضل بكثير من الوقوف على الصراط وأنت ضعيف تحمل أوزار الظالم والجور على بشر مثالك فلا تتركها معلقة ، ولا تظلمها فتطلقها دون سبب ، أو تسوء معاشرتها .

وأنتِ أختى المسلمة :

لماذا لا يمكنك أن تتحملى زوجك ... وهو يتحمل الكثير والكثير من أعباء الحياة ... من أجلك أنت وأولادك ... لماذا لا تجعلى له البيت جنة يلُقىِ

---

(١) رواه مسلم « ٦ / ١٣٢ ، ١٣٣ » البر والصلة ، ورواه الترمذى « ٣٠٥/٣٠٤/٩ » وقال الترمذى : إنه حديث حسن واللفظ لمسلم .

فيها كل الهموم والمتاعب وتكوني له مطيعة ومحبة فاتقى الله فيه وفى أولاده ، فلماذا لم يعد بيننا المودة والرحمة وكظم الغيظ . وامتصاص الأخطاء ... لماذا ننتظر الأجر والثواب من العباد ؟ لماذا لا يكون ما بيننا ابتغاء وجه الله دون انتظار جزاءً ولا شكوراً .

لماذا أصبحت الأوتار مشدودة كخيوط العنكبوت المغزوله بحكمه وذكاء لصيد الفريسة ... ثم تأكل نفسها ، وهى خيوط وَهنه أقل ريح يمكن أن تقطعها دون مشقة أو عناء ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

فربان السفينة أختى المسلمة يحتاج إلى مساعد فطن ، وماهو حتى يستطيع أن يواجه معه الأمواج الهوجاء التى ربما تحطيم السفينة فى أى وقت ، فالاحتياطات واجبة لخوض الرحلة سوياً ولتفادى الأخطاء والأمواج المتلاطمه فى حياتنا جميعاً ... والرحلة مهما طالت فهى قصيرة جداً ، والوقوف أمام الله سبحانه وتعالى أقرب ما يكون ، والخوف كل الخوف من التقصير والظلم والجور ... ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) ﴾ [2] .

والتضحية واجبة فى كل الأحوال من أجل منفعة أكبر ... سواء كان هذا من أجل الأطفال أو الأجر من الله سبحانه وتعالى .

وأنت أيها الراعى : « الأب ، الأخ ، الأم ... » :

والرعى يظلم نفسه وأولاده أو أخواته حينما يتكاسل فى الرعاية والرقابة ... فالملاحظة الجيدة فى الصغر والتنشيئة الدينية السليمة كذلك من أهم الأسباب

---

(١) سورة العنكبوت الآية « ٤١ » .
(٢) سورة المعارج الآيات « ٦ ، ٧ » .

التى يمكن أن نتفادى بها الأخطاء .

فالأب يظلم أولاد بالتخاذل فى المراقبة وتوجيه الإرشادات السليمة ، وأختيار الأصدقاء الذى يجد فيهم القدوة الحسنة ، فلا تترك أولادك دون رقيب ، ليصاحب أبنك الأشرار ويتعلم منهم الأخلاق السيئة ، فتجد الولد يتلفظ بألفاظ بذيئة أو يشرب السجائر أو يترك الصلاة ثم تتحسر وتُعلِق الأخطاء على شمعات غيرك .

والبنت كذلك تتركها دون حماية وتشجعها على ارتداء الملابس الخليعة التى تظهر مفاتنها .... وتتركها تخرج إلى المدرسة والنادى مع أصدقاء لا حول لهم ولا قوة فى المظهر والمكياج وغير ذلك مما نراه هذه الأيام ... من تسيب وعدم مراقبة .

فحينما أرى فتيات هذا الجيل أفكر كثيراً وأتسأل : هل كل هؤلاء الفتيات أيتام ؟ ليس لهم من يوجههم أو يحاسبهم أين ذلك الأب المتدين ؟ وأن لم يكن متدين ، فأين الرجل الشرقى المحافظ على بيته بحمكة وبشيئاً من الغيرة على العرض والشرف ؟ ، أين الراعى الذى يتقى الله فى أهل بتيه ؟ .

تحت أى مسمى ما نراه اليوم من ملابس وتصرفات ليس لها رقيب ولا حسيب ، ثم نتحسر حينما تتزوج الابنه دون علم الأهل أو الولى ، ونصرخ من كم الزواج العرفى ؟... والإدمان وغير ذلك من أخلاق وأفعال اندثر معها الدين والحياء والاستقامة ، والسبب غياب الراعى . ألم يأن الوقت لرفع الظلم عن أنفسنا ؟!! . « **إن الظلم ظلمات يوم القيامة** » [(1)] .

---

(١) رواه مسلم والبخارى عن حديث ابن عمر عن النبى ﷺ .

فهل لنا أن نحاول رفع الظلم عن أولادنا وأزواجنا وأنفسنا قبل أن ينزل الله علينا عذاب أليم .

« إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه ، حفظ ذلك أم ضيعه ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » [(١)] .

فنسأل الله تعالى أن يرد ضال هذه الأمة إليه رداً جميلاً ، وأن يجعلنا جميعاً متكاتفين على الحق متعاونين على البر والتقوى حتى نسعيد ما اندثر من مجدها وكرامتها ، إنه ولى ذلك والقادر عليه .

اللهم تقبل منك إنك أنت السميع العليم .

اللهم صلى وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميدٌ مجيد .

كتبته

ڤيڤيان فاروق محمد

غفر الله لها ولوالديها وللمسلمين

الأسكندرية في ١٨ من رجب ١٤٢٠هـ .

---

(١) حديث حسن « صحيح الجامع رقم ١٧٧٤/١/٣٦٥ » .

المراجـــع

١ - القرآن الكريم .

٢ - تفسير ابن كثير .

٣ - تفسير القرطبى .

٤ - تفسير القاضى البيضاوى .

٥ - التفسير الواضح ، محمد الحجازى .

٦ - السُّنة النبوية بين أهل الفقة وأهل الحديث ، للشيخ / محمد الغزالى .

٧ - البخارى ومسلم .

٨ - الجامع الصغير للسيوطى .

٩ - اليهودية د / أحمد شلبى .

١٠ - الزواج السعيد ، محمد عثمان الخشب .

١١ - تحفة العروس ، محمود مهدى الأسطنبولى .

١٢ - الطلاق تاريخاً وتشريعاً ، خاشع حقى .

١٣ - صورة البيت المسلم ، عصام الشريف .

١٤ - وعاشروهن بالمعروف ، سعيد عبد العظيم .

١٥ - أثر المعاصى على الفرد والمجتمع ، ابن عثيمين .

١٦ - عوامل إصلاح المجتمع ، عبد العزيز بن باز .

١٧ – الحياء خلق الإسلام ، محمد إسماعيل .

١٨ – خواطر على طريق الدعوة ، محمد حسان .

١٩ – مجموعة من المجلات والجرائد المصرية والعربية قد ذُكرت أسماءها في فهرس الصفحة ١١ .

٢٠ – زاد المعاد ، ابن القيم الجوزى .

الفهرس

رقم الصفحة

طوق النجاة

- إحتياطات قبل الزواج .
- احتياطات بعد الزواج .
- الحقوق الزوجية للطرفين .
- الطلاق « تاريخ . وقفات . أحكام » .
- الزواج العرفي ... ؟
- زوجات معلقات
- عقبات خطيرة تواجه الأسرة

١

دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كام
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس : ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون : ٥٤٤٦٤٩٦